

١٥٩. أسد ميسور

تیبو سلطان

(١١٦٣-١٢١٣هـ / ١٧٥٠-١٧٩٩م)

بطل الهند الأكبر فتح علي بن حيدر علي المعروف بـ(تیبو سلطان Tipu Sultan) ولد يوم الجمعة ٢٠ من ذي الحجة ١١٦٣هـ الموافق للعاشر من سبتمبر ١٧٥٠م في ديوان حالي Devanhali ، وأمه السيدة فاطمة بنت ميرميان الدين المعروفة بـ(فخر النساء).

وعلى الرغم من أن والده حيدر علي كان لا يستطيع القراءة والكتابة بنفسه ، إلا أنه صمم على تربية ولده وتثقيفه وتعليمه تعليماً عالياً جداً فمن جهة وجه لتعليمه عدداً من العلماء والأدباء فنشأ نشأة ممتازة محباً للعلم والفضيلة ، كما أن والده صمم على تدريب (تیبو) تدريباً عسكرياً عصرياً

حتى أنه كان ينتزع حلي النساء.

وكان من نتائج هذه الحروب الفاشلة التي شنتها الشركة أن ضجت لندن من تصرفات «هستنكز» وأنكرت عليه سياسته ، وتمرد عليه موظفوه ، فاضطر سنة ١٧٨٥ ، إلى الاستقالة وغادر البلاد عائداً إلى لندن ، وفيها مات سنة ١٨١٨ ، بعيداً عن ميادين السياسة.

واستعان بضباط فرنسيين أشرفوا على تدريسه الفنون العسكرية ، كما أتقن الفروسية والرياضات البدنية وجرب الحرب منذ نعومة أظفاره وكان نصيبه التوفيق والنصر فأحبه أبوه وقومه حباً جماً ، ولما استقل بالملك واصل النضال ضد الاحتلال على خطى والده وطور الأسلحة التي بين يديه فاستخدم الأسلحة النارية في تطوير علم الصواريخ وكان بعيد النظر في سياسته فعندما أدرك مقدار الهدف الإنكليزي للاستعمار ، أقام التحالفات مع الفرنسيين والعثمانيين والإيرانيين كما أقام التحالفات مع ممالك بلاده وقد بلغ جيشه أكثر من ١٥٠ ألف جندي مع ألفي مدفع وسبعمئة فيل ، وأدخر مقداراً طائلاً جداً من المؤن والعدد والذخائر الحربية وكان يُخمن بيت ماله بمليارين من الفرنكات ، واشتهر بتسامحه مع أصحاب الأديان بالرغم مما نسبه إليه الزاعمون بأنه حاول حمل المسيحيين والبراهمة على الإسلام وهذه دسياسة ضده فأكثر عمال بلاده ومراتب جيشه من الهندوس ، وكان تسامحه مع كافة الفرق الدينية معروفاً في البلاد لكنه قاوم البعثات التبشيرية بعد أن اكتشف علاقاتها الواضحة مع أعداءه الإنكليز ، ولم يحاول أن يظهر انتمائه المذهبي كشعار للدولة التي أسسها والده وكان بمقدوره أن يكسب الاتباع الكثيرين بهذه الوساطة ، فإنه فضل رابطة الوطن والتراب على علائق العقيدة التي تتفرق بها السبل وتختلف الموارد في بلد يضم مئات النحل والملل ، ووجه كل همه وهمومه لمقارعة الاستعمار الذي ركز أركانه في أكثر بلاد الهند يومذاك ، وبقيت طائفته الأمامية أقلية كما هو شأنها اليوم في جنوب الهند ، وهي بفضلها افتتحت مساجدها وحسينياتها في بنغلور وقرى كرناتكا لكنها شيدت بأموال أصحابها لا بأموال الدولة بعدما كانت المعابد الدينية الأخرى تتلقى الدعم من

الحاكمين التابعين لتيبو سلطان نفسه.

ومن آثاره الباقية أن المسلمين في هذه البلاد تجتمع حتى اليوم لإحياء ذكريات محرم الحرام دون تمييز بين الطائفتين الشيعية والسنية، وكانت تلك المواقف الجليلة منه مدعاة لحديث المؤرخين عنه، وفي هذا يقول عبد الحي الحسيني في وصفه: «كان مقداماً باسلاً، شجاعاً، عالي الهمة، وله من كمال الرئاسة، وحسن مسلك السياسة، والصرامة، والفطنة بدقائق الأمور، وجودة التدبير، والخبرة بالخفي والجلي، ما لا يمكن وصفه مع ميله إلى معالي الأمور، والمعرفة للأدب، وصحة أهل الفضائل، حصل له ألقاب السلطة من سلطان تركيا، وكان لبعده نظره شغوفاً على معرفة التطورات الحاصلة في البلاد المتقدمة، فقد أمر بترجمة إعلان (الاستقلال) الأمريكي إلى اللغات الهندية والعربية والفارسية ووزعها على رجال الدولة، ولما قدم نابليون بوناپرت إلى مصر أرسل وفداً من قبله برسالة فالتقاء الوفد كما التقى بأفراد من البعثة العلمية الفرنسية، وفي المجال العمراني بنى عدداً من المساجد والقصور الجميلة، وهو الذي أقام السد الشهير القائم حتى اليوم عند حديقة (براندفن كاردن) في ميسور».

وعقلية كهذه كان لابد أن يحسب لها الإنكليز ألف حساب، وكان هو نفسه مدركاً لهذه الحقيقة ولهذا فإن أقصى آماله كانت طرد الإنكليز من الهند، يقول الندوي:

«ولم تعرف الهند - في تاريخها الطويل - قائداً أعلى همة، وأبعد نظراً، وأشد غيرة على الدين والوطن، وأعظم عداً وبغضاً للمحتل الأجنبي، من (تيبو سلطان) ولم تكن في الهند شخصية أبغض إلى الإنجليز وأثقل عليهم من

تیبو، حتى ظلوا زمناً طويلاً - وقد أدركنا ذلك العصر - يسمون كلابهم باسمه شفاء لقلوبهم وإهانة لرمز الوطنية والجهاد».

شخصية تيبو:

تولى (تیبو سلطان) عرش الإمارة والبلاد في حالة احتضار وليس في البلاد كلها أمير يستطيع أن يجمع الناس حوله لخوض غمار المعركة الأخيرة، ولما كان سلطان دهلي قد فقد كل مقومات السلطنة ولم يعد غير أمير صغير مثل غيره، رأى «تیبو» أنه لا بد من تركيز الجهود في نقطة واحدة، فتقدم لإملاء هذا الشغور، وتلقب بالسلطان وأحاط نفسه بهالة من مستلزمات السلطنة، مما لم يكن أحد من أمراء الهند يجرؤ عليه من قبل.

وكان ظهور شخصية مثل شخصية السلطان تيبو على مسرح السياسة الهندية في تلك الفترة التي كانت تجتازها البلاد، مدعاة إلى خوف أمراء الهند والإنكليز على حد سواء، لما عرف عن هذا الأمير من حصافة الرأي وبعد النظر والحنكة السياسية والشجاعة والإخلاص، ولذا فقد أخذ الجميع يكدون له ولاسيما مملكة حيدرآباد التي كانت تعتبره تابعاً لها وهو اليوم لا يعترف بوجودها، فكان على (تیبو) أن يقاتل أعداءه في جبهات متعددة، ولم تطاوعه نفسه الأبية، في يوم من الأيام، بأن ينحني برأسه أمام أحد، وكان يقول: «إنه من الخير لي أن أعيش يومين أسداً من أن أعيش قرنين حملاً». ولذا سمي بـ(أسد ميسور).

الحياة الفكرية والثقافية في عهده:

ازدهرت في أيامه الحياة الفكرية والثقافية حيث كان محباً للعلماء مشجعاً

لهم على التأليف والتصنيف، عاشقاً للفن والعمارة والبناء، وأكبر شاهد على ذلك تركته العلمية التي خلفها من بعده والمتمثلة بمكتبته القيمة التي تضم حتى اليوم مئات النوادير والمخطوطات، وعندما وقع قصره في (سيرنغباتام Seringapatam) بيد الإنكليز أخذوا مكتبته في سنة ١٧٩٩ إلى كلية فورت وليم في كلكتة، وفحصت بواسطة شار ستوارت الذي فحص ١٠٩٠ كتاباً في ألفين مجلد تقريباً، كانت بلغات شتى منها العربية والفارسية والهندية وكان (تيوسلطان) يجيد هذه اللغات، ووضع المذكور (كتالوك - قائمة بها) (Stewart's Catalogue) وجزء من مكتبته نقل إلى المكتب الهندي (Indian office) سنة ١٨٠٦، ومنها ما وصل إلى مكتبات جامعات أوكسفورد، وكمبردج، ودبلن، والباقي منها ما يزال موجوداً في كلية فورت وليم بكلكتة.

ومن الكتب التي صدرت في عهده: مؤيد المجاهدين للمير زين العابدين ومُفرِّح القلوب لملك الشعراء حسين علي عزت، واستخراج التقاويم، وتحفة محمدي لمحمد نصير، وسلطان التواريخ، وفتح المجاهدين، وفخر الشيوخ، ومكاتيب سلطاني، وآئين سلطاني، وتاريخ ميسور وصحيفة تيبو سلطان، ونشان حيدري وغيرها.

وتردد على بلاطه كبار شعراء عصره ومنهم: خادم، وفقير، وعزّت، وطرب، وشاكر، واسحق، وعاصي، وغيرهم.. ومن الكتب المهداة له وما تزال موجودة في المكتب الهندي كتاب (بهار دانش) وهي مجموعة من القصص والخرافات الفارسية كتبها الشيخ عنایت الله قنبو عام ١٠٦١هـ / ١٥٦١م معتمداً على قصص هندية لشاب برهمي، ومنها: قصة جهان دار سلطان

وبهرور بانو وقد نظمها شعراً حسن علي عزت. والنسخة برقم ١٥٣ ، وقد ترجمها إلى الإنكليزية دو A.Dow (لندن ١٧٦٨م). وفي مكتبة الجمعية الآسيوية في كلكتا كتاب باسم حكمتنامه منسوب لتيبو سلطان وهو باللغة الفارسية برقم ٥٨٨ كما في فهرس المكتبة ص ٩٥ - ٩٦ (سنة ١٨٣٧م).

التطور الصناعي والإداري:

بما أن تيبو كان في حروب دائمة فقد كان بحاجة إلى كمية كبيرة من الحديد تلبية لحاجاته من الأسلحة، التي طورها جداً واستفاد من الخبرات الفرنسية خاصة، وطور صواريخ فتاكة كما استخدم تقنيات عالية المستوى في تصنيع البنادق والخناجر، وعمل مصانع لإنتاج البارود.

وازدهرت على عهده الزراعة وكافح الإقطاع المتفشي في بلاده وأقام السدود والأقنية، أقيمت مصانع للسكر والأنسجة من الصوف والقطن والحرير.

وفي الواقع لم تكن هناك أي منطقة إدارية لم تخضع لإرادة تيبو أو لم يحاول تحديها، كما أوجد نظاماً جديداً للنقود وغير أسماءها كما يلي:

الروبيه إلى امامي، الأشرفي إلى أحمددي، الهن إلى فاروقي، الاتهنّي إلى باقري، الدونّي إلى كاظمي. وغير بعض أسماء البلاد ومن ذلك رتن كري إلى مصطفى آباد، ديوان حالي (هلي) إلى يوسف آباد، سيرا إلى رستم آباد، ميسور إلى نظر آباد، هاسن إلى قائم آباد، كما وضع تقويماً جديداً للموازين والقياسات، ومنع نظامه الاجتماعي تعاطي الخمر أو البغاء ومنع تعدد الزوجات في مالابار (كيرالا).

ومع كل هذه العقلية الرائعة والإصلاحات العظيمة فلم يكن الإنكليز ليروق لهم مثل هذه الشخصية حتى أن مؤرخاً إنكليزياً هو هيج T.W.Haig جرّده من كل معاني العظمة والسجايا النادرة التي يتمتع بها بما في ذلك شجاعته التي يضرب بها المثل إلى اليوم في موطنه بالهند، قال هذا على خلفية حقه عليه: «ولم يكن أيضاً خبيراً بالحرب، وكل ما امتاز به في حلتها شجاعة الرجل قوي الجسم»!!

حروب تيبو سلطان:

عاش (تيبو سلطان) غالب وقته في وقائع حربية متواصلة وخاصة ضد البريطانيين. وفي بدايات عهده انتهت الحرب بين الفرنسيين والإنكليز بمعاهدة «فرساي» (٢٠ يناير سنة ١٧٨٣م). وبذلك أصبح «تيبو سلطان» وحده في الميدان ضد الإنكليز، ومع هذا فقد قابلهم حينما هجموا عليه من الشمال على الساحل، وهزمهم شر هزيمة، وأخذ أسلحتهم وأسر الكثير من جنودهم، ثم استولى على «منكلور» وفيما مثل بين يديه ممثلاً فرنسا وإنكلترا. أما ممثل فرنسا فقد حضر ليعلم أنهم وقعوا صلحاً مع الإنكليز، فهم بعد ذلك لا يدخلون ضدّهم في حرب، وأما ممثل إنكلترا فكان لتوقيع صلح معه، تعهد فيه كل من الطرفين بإنهاء الحرب وإطلاق الأسرى، ورد ما أخذه من أملاك الآخر، وكان ذلك في سنة ١١٩٨هـ / مارس ١٧٨٤م.

وفي هذه السنة نفسها سنت الحكومة الإنكليزية قانوناً جديداً للهند أحدثت بموجبه مجلس رقابة مركزه لندن خوّلته صلاحيات أوسع من قبل في مراقبة أعمال الشركة والممتلكات الهندية في إدارتها وماليتها وجيشها. وخوّل القانون جماعة من رؤساء الشركة حق تنفيذ أحكامه وجعلت لهذه الجماعة

رئيساً هو الذي أصبح فيما بعد يسمى «وزير الهند». وأكد هذا القانون الجديد عدم رغبة الحكومة الإنكليزية بالاستيلاء على الهند كلها لأن مثل هذا العمل لا يتفق مع صراحة الحكومة الإنكليزية وصدقها كما أنه لا يتفق مع أهدافها السياسية.

وبعد أن أصدرت الحكومة هذا القانون عينت سنة ١٧٨٦ اللورد كارنوالس Lord Cornwallis حاكماً على الهند وأوصته بالتقيد بأحكامه، ولكن الذي حدث هو غير ذلك لأن «كارنوالس» كان جندياً وكان يقود في الولايات المتحدة الأمريكية آخر حملة خسرتها إنكلترا في تلك الأصقاع فكان يحنُّ في قرارة نفسه إلى الانتقام لهزيمة أصابته هناك بنصر يحرزه في الهند، وحيث أنه كان يرى بأن وجود السلطان تيبو سيزعج كل برامجهم، فقد اتجه بكليته إليه ليقضي عليه حتى يتسنى له القضاء على غيره من بعده ليقوم على أنقاض الجميع امبراطورية إنكليزية. ولتحقيق هذا البرنامج عقد، سنة ١٧٨٨، معاهدة مع أمير حيدر آباد والمرهتهيين تنص على تعاون الجميع للاستيلاء على ميسور. وكان هذا العمل ينافي منطوق القانون الجديد، كما ينافي المعاهدة الميسورية الإنكليزية، ولذا فقد أغضب هذا التحدي السلطان تيبو ولكنه سكت على مضض ولم يحرك ساكناً ليرى رد الفعل عند خصومه. فلما رأى الإنكليز سكوته أوغزوا إلى حليفهم أمير (تراونكور Travancore) باستفزازهم، ولما كانت هذه الإمارة مجاورة لميسور فقد أخذ أميرها يشيد القلاع على الحدود، ثم إنه باع الهولنديين قلعتين كانتا داخل حدود إمارة ميسور، فلفت السلطان تيبو أنظار الأمير بصورة ودية إلى ما ينطوي عليه عمله هذا من مخالفة لآداب الجوار، وطلب إليه في الوقت نفسه تسليمه بعض المجرمين

الفارين إليه ، ولكن أمير تراونكور ، الذي كان يريد استفزاز السلطان ، لم يجب بشيء ، فغضب السلطان وزحف سنة ١٧٨٩ إلى تراونكور فدمر المنطقة الشرقية منها ، فما كان من الإنكليز إلى أن أعلنوا الحرب على تيبو انتصاراً لحليفهم ولكنهم اندحروا أمامه ، فألزم كورنوالس حيدر آباد والمرهتهين بتنفيذ المعاهدة ووعدهم بتقسيم ميسور فيما بينهم ، وسارت الجيوش الثلاثة سنة ١٧٩٢م/١٢٠٧هـ لقتال تيبو ، ولكنها لم تستطع أن تدخل العاصمة ، ورضي الإنكليز بالصلح الذي عرضه تيبو وانتزعوا منه نحو نصف بلاده ، وأخذوا منه غرامة حربية قدرها ثلاثة وثلاثون مليون روبية (٧٥ مليون فرنك) اقتسمها الحلفاء الثلاثة فيما بينهم بالسوية ، وتقديراً لما قام به كارنوالس من خدمات وبالنظر إلى ما كان لهذا النصر من أهمية في نظر الحكومة الإنكليزية فقد أنعمت عليه بلقب (مركيز) لأنه كان يتمتع من قبل بلقب (لورد) ، وبهذا العمل كذبت الحكومة الإنكليزية نفسها بنفسها وأثبتت أنها كانت حريصة على الاستيلاء على الهند خلافاً لما زعمته في قانونها.

وبعد أن أدخل كارنوالس بعض الإصلاحات على القانون الزراعي لإحياء الأراضي الزراعية ، انتهت مدة خدمته في الهند فغادرها سنة ١٧٩٣ عائداً إلى لندن. وعيّن مكانه السير جان شور (sir John shore) ويعود فضل تعيينه لسلفه كورنوالس حيث كان معاوناً له فرشحه للمنصب ووافقت الحكومة وعينته حاكماً عاماً واستمر حكمه مدة خمس سنوات ومنذ يوم توليه عمل على الاستيلاء على بقية الهند وأثار الدسائس بين الإمارات الهندية وتصرف في شؤونها تصرفاً مشيناً وخاصة في المملكة الآصفية بمحيدر آباد ومملكة أورده في لكهنؤ لكنه لم يستطع النيل من مملكة ميسور مطلقاً.

ولما اشتعلت الحرب بين نظام حيدر آباد والمراهتا لم يتدخل بينهما، ومع أن الشركة وعدت نظام حيدر آباد من قبل بمساعدته ضد أعدائه، وقد هزم النظام أمام المراهتا، مما خلف في نفسه مرارة من الإنكليز، فبدأ يميل لأعدائهم الفرنسيين، ويستقدم ضباطاً منهم لتدريب جنوده، وأخذت تتكون في الجنوب شبه جبهة معادية للإنكليز، وعلى رأسها (تیبو سلطان) القوي العنيد الذي لا تزال مرارة الهزيمة تحزُّ في نفسه، ويتربص بالإنكليز الدوائر، وكانت الحرب قد بدأت بينهم وبين الفرنسيين في أوروبا سنة ١٧٩٣م، فاشتد النزاع بينهما أيضاً في الهند، وأخذ الفرنسيون يستميلون المراهتا، ويرسلون إليهم الأسلحة والضباط، وكانت الحكومة الإنكليزية نظراً للفساد الذي عم إدارة الشركة وموظفيها قد أصدرت عدة قوانين لإصلاحها جعلتها تحت إشراف الحكومة المباشر، بحيث تختار هي الحاكم العام.

وفي سنة ١٢١٢هـ / ١٧٩٨م اختارت الحكومة اللورد ريتشارد ويلسلي (أحد أبناء السياسي البريطاني إيرل مورتنجتون) حاكماً عاماً للهند واصطحب هذا معه شقيقه آرثر ويلسلي.

ولم يكن ريتشارد ويلسلي دخليلاً على الأمر فقد كان ملماً به إماماً تاماً ومطلعاً على دخائل الأمور الهندية، صغيرها وكبيرها، وكان بالإضافة إلى ما كان يتصف به من حزم وعزم متعطشاً إلى الفتح والاستيلاء، ولذا فقد وضع نصب عينيه القضاء على كل الإمارات الوطنية ليضمها إلى المستعمرة الإنكليزية، وكان من البدهي، وهو يحمل هذه الفكرة، أن يتجه إلى ميسور ليقضي عليها وعلى أميرها الخضم العنيد، وكان السلطان تيبو يضمم للإنكليز ما يضمرون له أو بالأحرى أنه كان يعلم ما يكونه له في صدورهم من عداوة

وبغضاء فكان يحذرهم لاسيما وأنه لم يكن قادراً، بعد معاهدة ١٧٩٢، التي ضعفت كيانه وهذت أركانه، أن يقف في وجوههم، كما أنه لم يكن يعتمد في أعماله على صداقة أحد من جيرانه لما بينه وبينهم من منافسة وعداء، ولذلك فإنه لجأ إلى اتباع السياسة الإنكليزية نفسها، إذ كان يتحرش مرة بمحيدر آباد ويتآمر عليها مرة أخرى ويسعى إلى أن يباعد بين المرهتهين وبين الإنكليز حيناً أو يحرضهم عليهم حيناً آخر، لا بل فإنه ذهب إلى أبعد من ذلك وأرسل وفداً إلى أمير كابل (زمان شاه) يحرضه على الاستيلاء على الهند، فلما فشلت كل هذه المساعي ولم تأت بالنتيجة المرغوبة التفت إلى الإفرنسيين، ولكن المقيمين منهم في الهند كانوا ضعفاء ولم تقم لهم قائمة بعد حادثة ١٧٦١، يوم دخل الإنكليز بوند يشيري pondicherry ودمروها، ولذا فقد كتب تيبو إلى حاكم جزيرة ريثيون الإفرنسي يحرضه ويستفزه، ولكن الحاكم لم يستطع أن يفعل شيئاً لأن البلاد الإفرنسية كانت في إبان ثورتها الحاطمة ولم يكن بمستطاعها أن تفكر بالهند بعد فشل حملة نابليون على مصر.

فلما سدت الأبواب كلها في وجه «تيبو» وقف وقفة المدافع وأخذ ينظم جيشه استعداداً لكل طارئ لأنه كان على يقين من أن الإنكليز لن يتركوه قط. وفي الوقت الذي كان تيبو يخطط يميناً ويساراً ويلجأ إلى كل حيلة ليدفع أعداءه ويحفظ استقلاله، كانت الظروف تسير في ركاب ويلسلي وتخدمه لتنفيذ مآربه. وكان القدر يعد له ما لم يكن في حسبانته من مفاجآت مسرة، وتفصيل ذلك هو: إنه على الرغم من حرص ويلسلي على القضاء على إمارة ميسور فإنه لم يكن يجرؤ على أن يقابلها وجهاً لوجه لأنه كان يتهيب تيبو، لما عرف من شجاعة، ولأنه كان يخشى جيش حيدرآباد الذي نظمه الإفرنسيون

ودربوه حتى جعلوه أقوى جيوش الهند، وكان ويلسلي يخشى انضمام هذا الجيش إلى جيش ميسور لقتال الإنكليز، ولم يكن مبعث خشية ويلسلي يقوم على صداقة بين حيدر آباد وميسور بل لأن حيدر آباد كانت، مع كرهها لميسور، لا تنظر بعين الارتياح إلى استيلاء الإنكليز عليها بل كانت تود بقاءها مستقلة وضعيفة. ولكن حدث ما لم يكن بالمستطاع دفعه، إذ مات قائد جيش حيدر آباد، الجنرال ريمون الإفرنسي، الذي كان الإنكليز يحسبون حسابه، فاهتبل ويلسلي هذه الفرصة وأرسل جيشاً إلى حيدر آباد فحاصرها وفاجأ الجيش الحيدر آبادي وجردّه من سلاحه، ولما اطمأن ويلسلي إلى نجاح هذه الخطة أعلن الحرب على تيبو، سنة ١٧٩٩، وهجم عليه هو وحلفاؤه بكل قواهم، فأدرك أسد ميسور أن لا طاقة له بكل هذه القوات، فعرض الصلح مرات، ولكن الإنكليز لم يجيبوه إلى ما طلب، إذ لو كانوا يريدون إجابته إلى الصلح لما اعتدوا عليه، ولما كان مثل تيبو لا يرضى بالذل والخنوع فقد نزل إلى الميدان يقاتل بشجاعة أقرّ له بها خصومه، وظلّ يجالّد حتى قُتل واستولى الإنكليز على قلّعتة في عاصمته Seringapatam، وبموته قضى على إمارته وقسمها الإنكليز إلى قسمين، أعطوا قسماً منها إلى حفيد الأمير الهندوسي الذي انتزع منه حيدر علي الإمارة، وضموا القسم الثاني إلى إمارة حيدر آباد، وأقاموا في ميسور مقيماً عاماً إنكليزياً يدير شؤون الإمارة، وفرضوا على حيدر آباد الاحتفاظ بجيش إنكليزي ليحميها من كل اعتداء. والواقع أن حيدر آباد لم تكن بحاجة إلى حماية بل كان الإنكليز يخشونها ففرضوا عليها هذه الرقابة العسكرية وألزموها القيام بنفقات هذا الجيش، ولما لم تستطع حيدر آباد أن تقوم بنفقاته الباهظة عاد الإنكليز، بعد سنة، وسلبوها من

أعطوها من أرض ميسور.

قداعيات مقتل تيبو:

كان تيبو ومملكته العظيمة (ميسور) شوكة أمام الاستعمار البريطاني في الهند وكان الرجل كما كان والده من قبل يرعبهم بشدة بأسه ومراسه وحيله ، فلما قضاوا على مملكته وقتلوه غمرتهم الفرحة وانتهزوها فرصة لإكمال سيطرتهم على الإمارات الهندية المتنازعة الأخرى وكان أمرها هيناً بالنسبة إلى مملكة ميسور ، فأخذ ويلسلي يعتدي على الإمارات الواحدة بعد الأخرى فيبتلعها ، وفي السنة ذاتها التي قضى فيها على ميسور ، استولى على إمارتين صغيرتين هما «تنجور» و«سورت» ، وذلك أنه لما مات أميراهما الواحد بعد الآخر طلبت الشركة من كل من الوريثين التنازل عن حقه لقاء راتب شهري معين تدفعه له الشركة ، فلم يسعهما إلا القبول.

وفي سنة ١٨٠١ توفي أمير (كرناتك) ، فطلب ويلسلي من ابنه وخليفته أن يتنازل عن حقه في العرش فأبى وأراد أن يلتجئ إلى لندن ، فأخذه ويلسلي بأفعال أبيه وجده متهماً إياهما بأنهما تآمرا على الإنكليز مع أمير ميسور وعزله ونصب مكانه أحد أولاد أخيه ، ثم أرغمه على التنازل لقاء راتب معين . وانتزع نصف بلاد (أوده) من أميرها ، كما فعل بجيدر آباد ، وترك لهما استقلالاً مبتوراً وجعلهما تابعين له ، ثم إنه انصرف إلى المرهتهين وطلب إلى إمارة (بونا) ، وهي الإمارة المرهتية الرئيسية ، التوقيع على معاهدة كالتى وقعتها حيدر آباد وتنص على قبول الإمارة بوجود جيش إنكليزي في بلادها وعلى نفقتها ليحميها وتتعهد بالألا تشن حرباً على أحد ولا تحالف أحداً إلا بإذنه ، ولا تستخدم في مصالحها غريباً غير الإنكليز. وعلى الرغم من أن

(البيشوا باجي راو) كان في حرب مع (هلكر) أمير (اندرو)، ولم يكن قادراً على القتال في جبهتين معاً، فإنه رفض أن يتنازل بمحض إرادته عن استقلاله، فجاء الحظ بخدم ويلسلي على هواه في هذه القضية أيضاً. وذلك أن هلكر انتصر على باجي راو ففرّ هذا ملتجئاً إلى الإنكليز ووقع المعاهدة التي طلبوها وجاء بجيش أمدوه به ليسترجع إمارته، ولكن أخاه الذي نصبه هلكر مكانه أبي أن يقاتله فسلمه المدينة فدخلها بسلام، ولكنه لم يرجع أميراً مستقلاً كما خرج بل رجع بعد أن قيد عنقه بالمعاهدة التي فرضها عليه الإنكليز.

وبعد أن اطمأن ويلسلي إلى خضوع (يونا)، وهي رأس الإمارات المرهتية وأقواها، وجه جهوده لإخضاع أطرافها أي إمارتي (برار) و(مالوي).

نداء الهند

أما في ميسور نفسها فقلنا إنهم أعطوا قسماً منها لعائلة الراجا السابق الذي انتزع منه الملك حيدر علي والد تيبو وقد تولاهما رجل منهم لم يحسن الحكم فتدخلت إنكلترا في شؤونه بحق الجوار سنة ١٨٣١ وراقبت أعماله، فلما توفي سنة ١٨٦٨ أفضت أزمة الحكومة إلى ولد تبناه اسمه شكاكريشنا اراسو وكان قاصراً فتولت إنكلترا وصايته وأحاطته بالمستشارين من رجالها حتى بلغ رشده سنة ١٨٨١ فاستلم الحكم الصوري وانتقل منه إلى المهراجا كريشنا راجا واديار بهادر، فنظراً لغنى هذه البلاد فقد تشبث الإنكليز بحكمها ولو من وراء صورة المهراجا المذكور لكنهم أضافوا لها قانوناً مدنياً وضعه لها السير مارك كوين وشجعوا التعليم والمواصلات وبلغ دخلها السنوي نحو ١.٧٠٠.٠٠٠ روبية وعدد سكانها حسب إحصاء عام ١٨٩١ نحو ٤.٩٠٠.٠٠٠ أكثريتهم من الهندوس وفيهم المسلمون والنصارى وطوائف

أخرى ، وفي عام ١٩٤٧ انضمت ميسور إلى الهند.

وبالرجوع إلى حادثة استشهاد (تيبو) ، فإن كيفية قتله تثير الشك لدى عدد من المؤرخين ويعتقد الغالبية من مواطنيه أن الحادث كان إثر خيانة أحد مساعديه ، وأنه أخذ سلاحه وأوعز إلى جنده فتقدم لقتال الإنكليز ولاقى حتفه في منطقة تدعى «بوابة المياه» في شمال قلعته المنيعه seringapatam وكان إذ ذاك يحارب على قدميه مثل الجنود ، وهذه حقيقة يعترف بها أعداؤه بإعجاب.

ومن نوه بذكره من مؤرخي الهند صاحب الحصن الحصين حيث قال :
«لما توفي حيدر علي خان المعروف بنانك قام مقامه نجله تيبو سلطان ف ضرب السكة باسمه على الدراهم والدنانير بالفارسية :

(سكه زد درجهان باساتي شاه تيبو سكندر ثاني)

وكان له عقل ثاقب ورأي سديد فقاتل في عدة حروب بأرياب الدولة المسيحية إلى أن قُتل على أيديهم لليلتين بقيتا من ذي القعدة في السنة الثالثة عشر ودفن في جوار أبيه فأركان الدولة غلبوا على مملكة ميسور التي كانت محاصيلها في كل سنة سبعين مائة ألف روفيه أو أزيد ثم أقاموا مقام المقتول رجلاً يسمى كشناراج من الهنود وهو ابن ثلاث سنين وكان هو من ورثة الحاكم الذي أخذ من يده هذه المملكة حيدر علي خان المذكور ثم بعد قتله أخذ حكام الدولة الموصوفة أبناءه ونسائه وجاءوا بهم إلى كلكته وعينوا لمعاشهم ادراراً فأكثرهم ماتوا هناك ولكن ابنه المسمى غلام محمد خان مع عدد من أقربائه أحياء إلى هذا الزمان ، ولهم شهرية قدرها اثنين وثلاثين ألف روفيه» (الورقة ١٧٣ و ١٧٤).

وعن حادثة اغتياله يقول السيد عبد الحي الحسني :

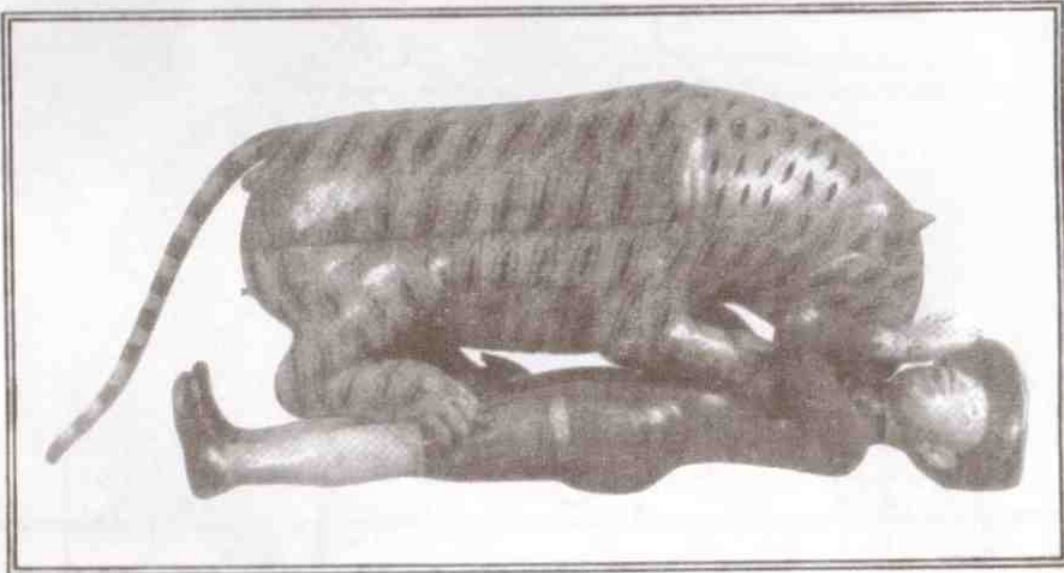
«ولما كانت الدولة الإنكليزية لا تأمنه، وترى فيه العدو اللدود للإنكليز، ركب إليه الإنكليز بعساكرهم سنة ١٧٨٣م / ١١٩٨هـ فهزمهم السلطان، وقتلهم، ثم ركب إليه الإنكليز سنة ١٧٩٠م / ١٢٠٥هـ، ودبروا الحيلة لاستئصاله، فأغاروا عليه، واستصحبوا معهم جنود المرهته وعساكر الدولة الآصفية. فدخلوا في أرضه، ودوخوا البلاد، وهزموه، ثم اصطلحو معه على بعض الشروط، فلما رأى السلطان جدهم في استئصالهم، رغب إلى فرنسا، واستقدم قوادهم إلى (سريرنك بتن)، فركب إليه الإنكليز بعساكرهم القاهرة، مرة بعد مرة، سنة ١٧٩٨م / ١٢١٣هـ، فقاتلوه قتالاً شديداً، وضايقوه غاية المضايقة، حتى قتل السلطان في قلعة (سريرنك بتن)، سنة أربع عشرة ومائتين وألف، وانقرضت دولته».

والمشهور أن الجنرال هاريس Harris المكلف بقيادة الحملة على القلعة حين بلغه موت تيبو سلطان، وقف على جثته قائلاً: «اليوم الهند لنا».





حيدر علي خان أمير ميسور



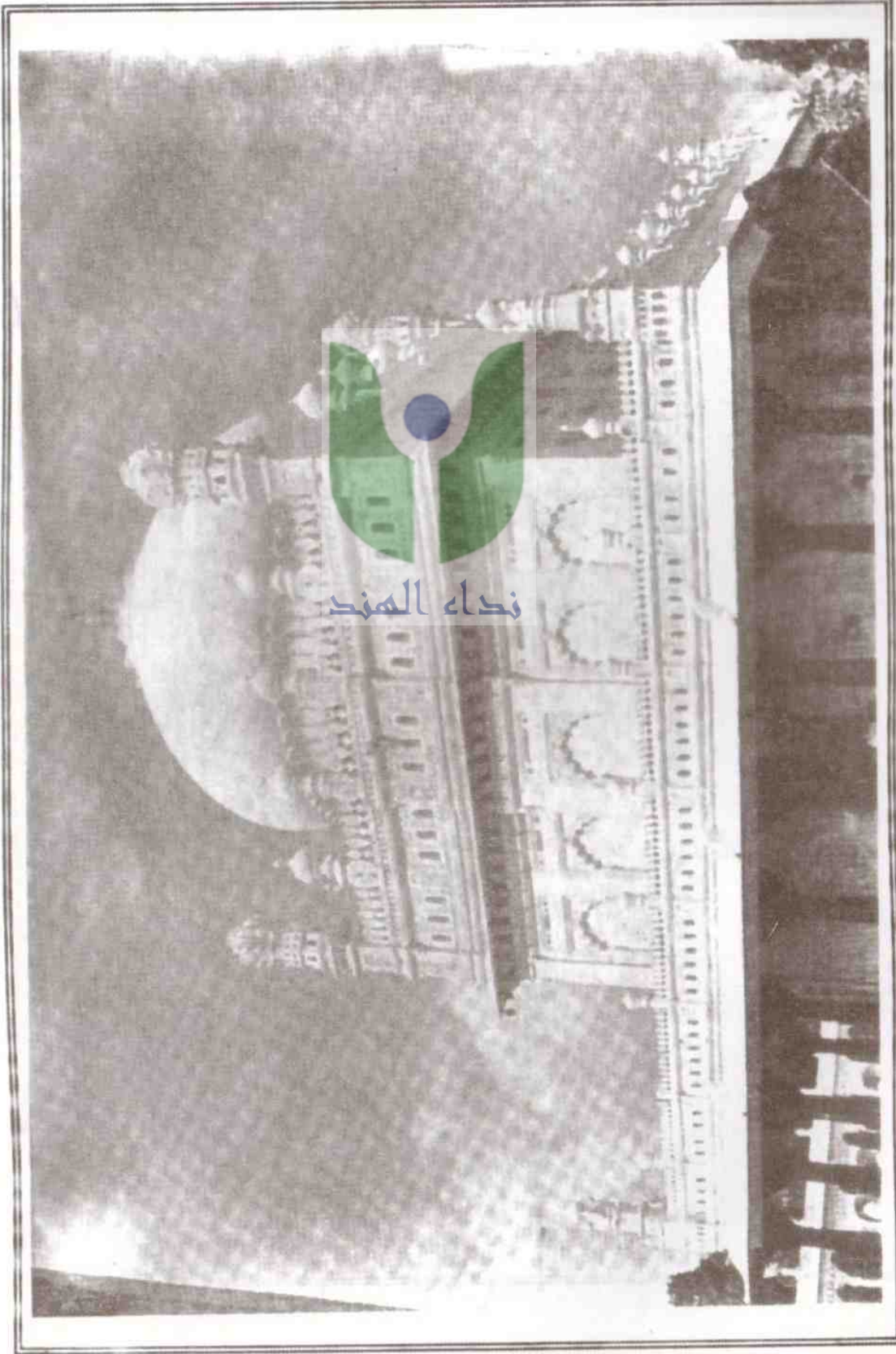
شعار مشهور متناول في جنوب الهند يشير إلى فتك أسد ميسور تيبو سلطان بالجيش البريطاني



تیبو سلطان فی شبابه

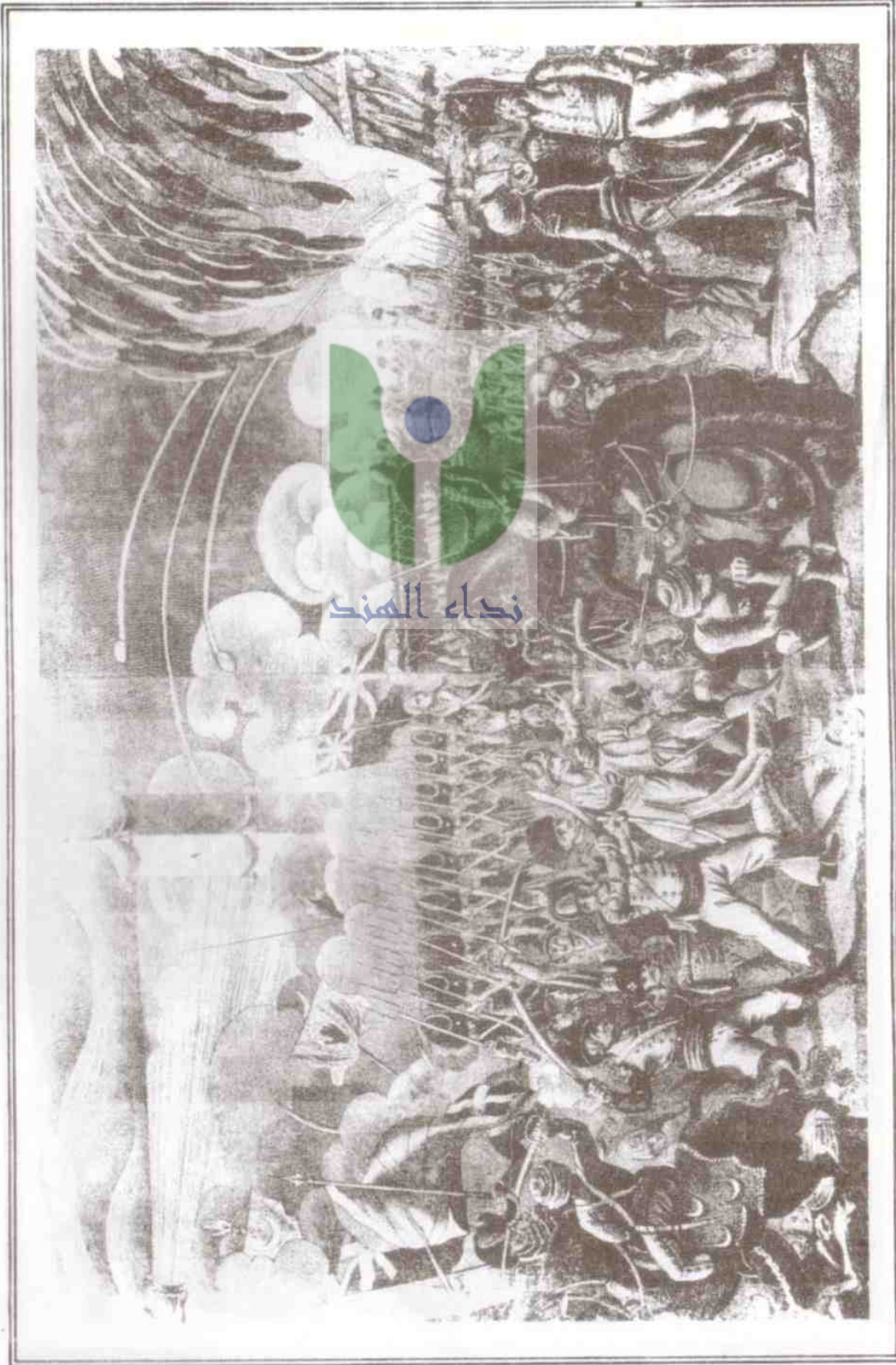


أحد أمراء الحرب الإنكليز في بلاط الأمير حيدر علي خان

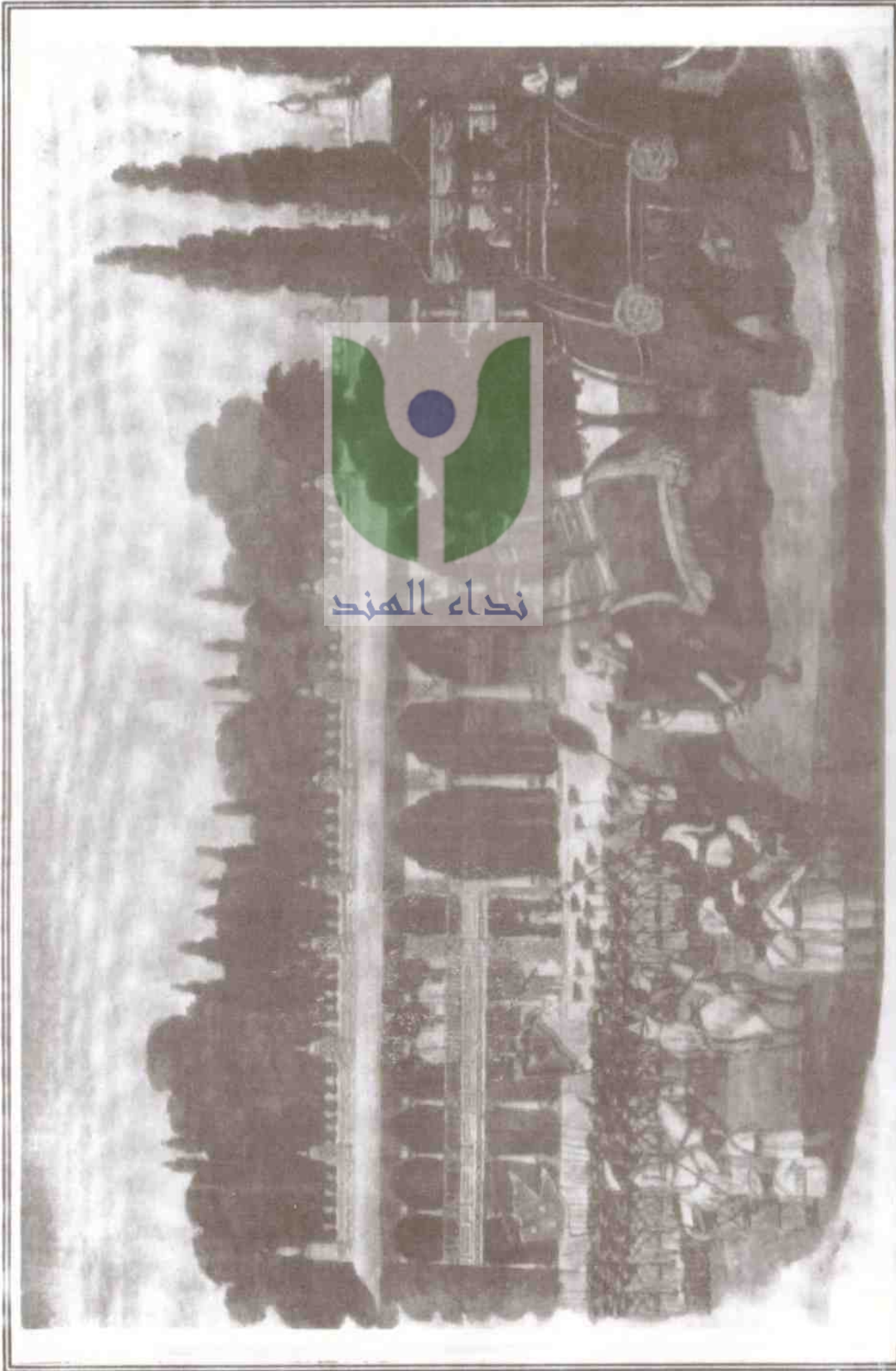


٢

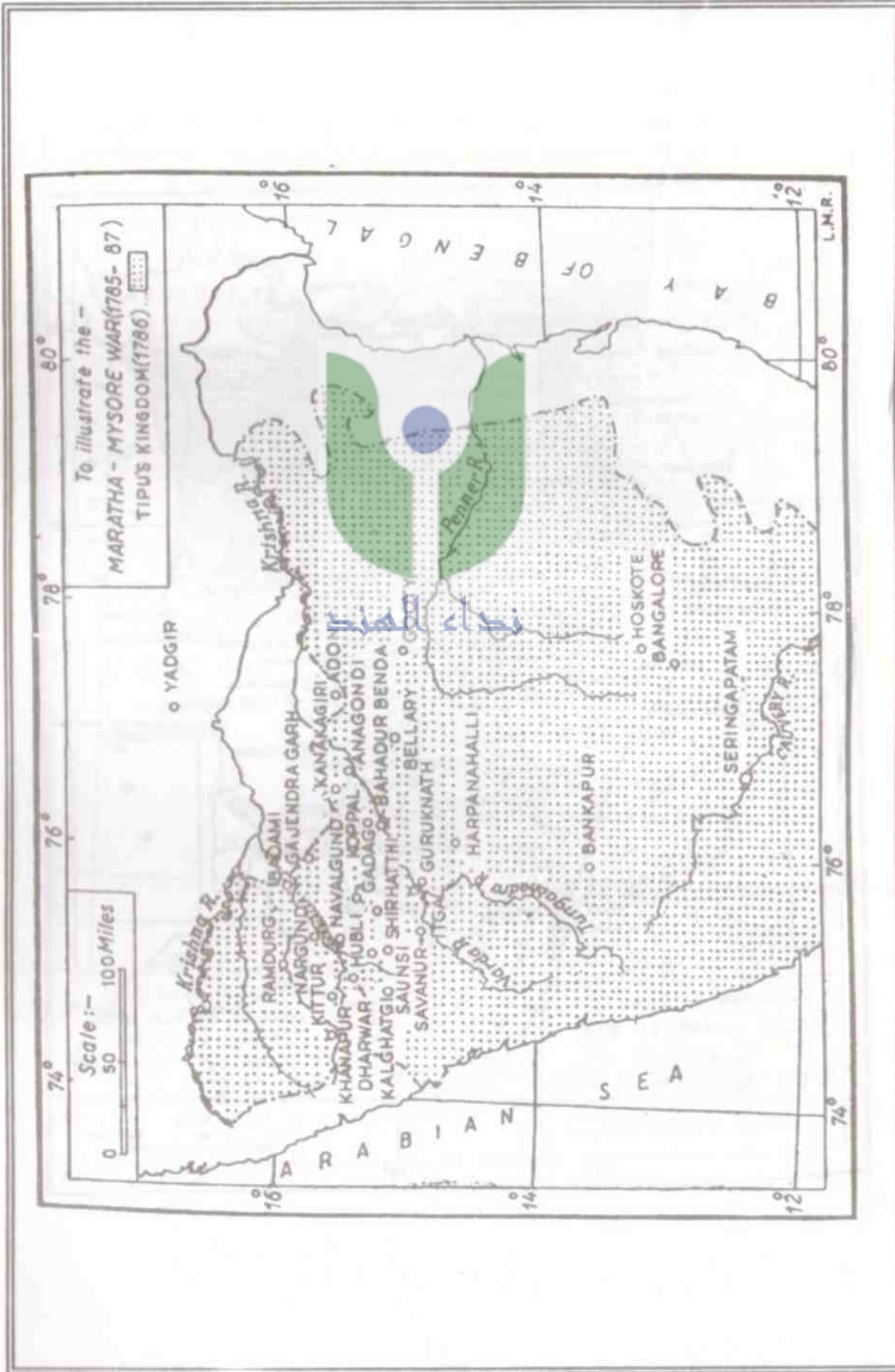
العمارة التذكارية المشيدة على قبري حيدر علي خان وولده تيبو



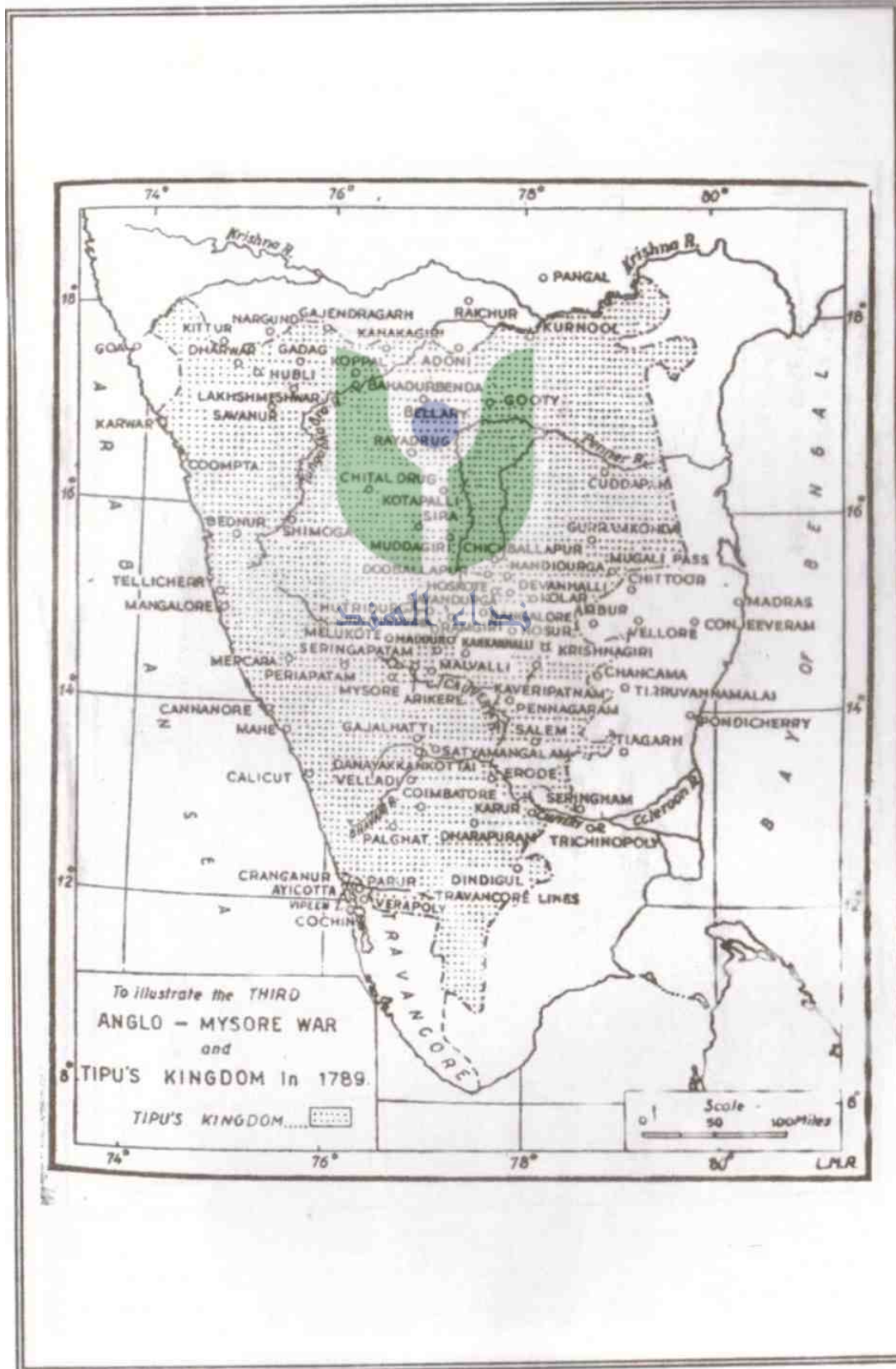
لوحة تمثل إحدى المعارك التي اشتبك فيها تيبو سلطان مع الجيش الإنكليزي



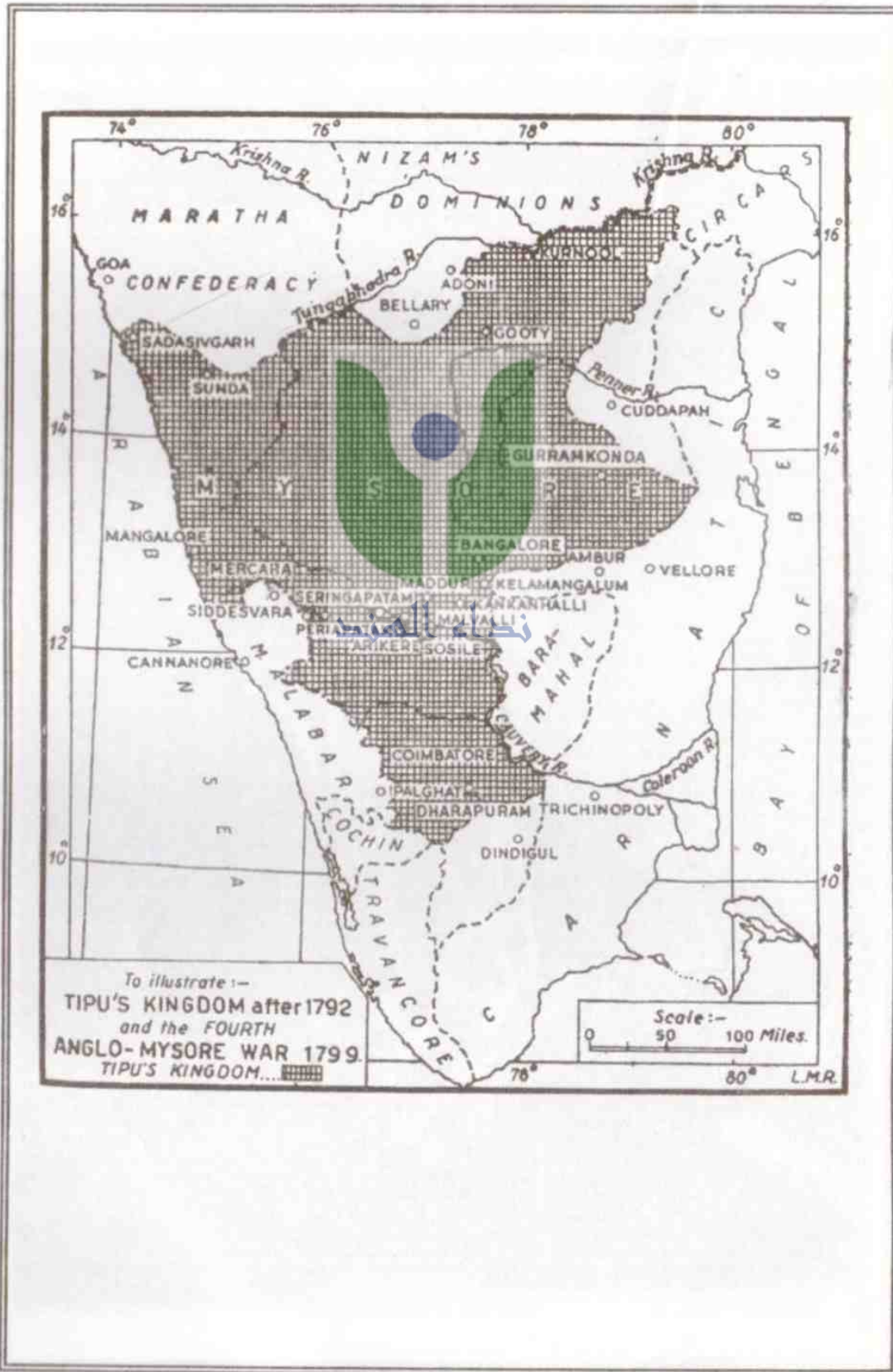
موكب تيبو سلطان في أحد شوارع عاصمته ميسور



سلطنة ميسور (۱۷۸۷-۱۷۸۵)



سلطنة ميسور (١٧٨٩)



سلطنة ميسور بعد (1792)



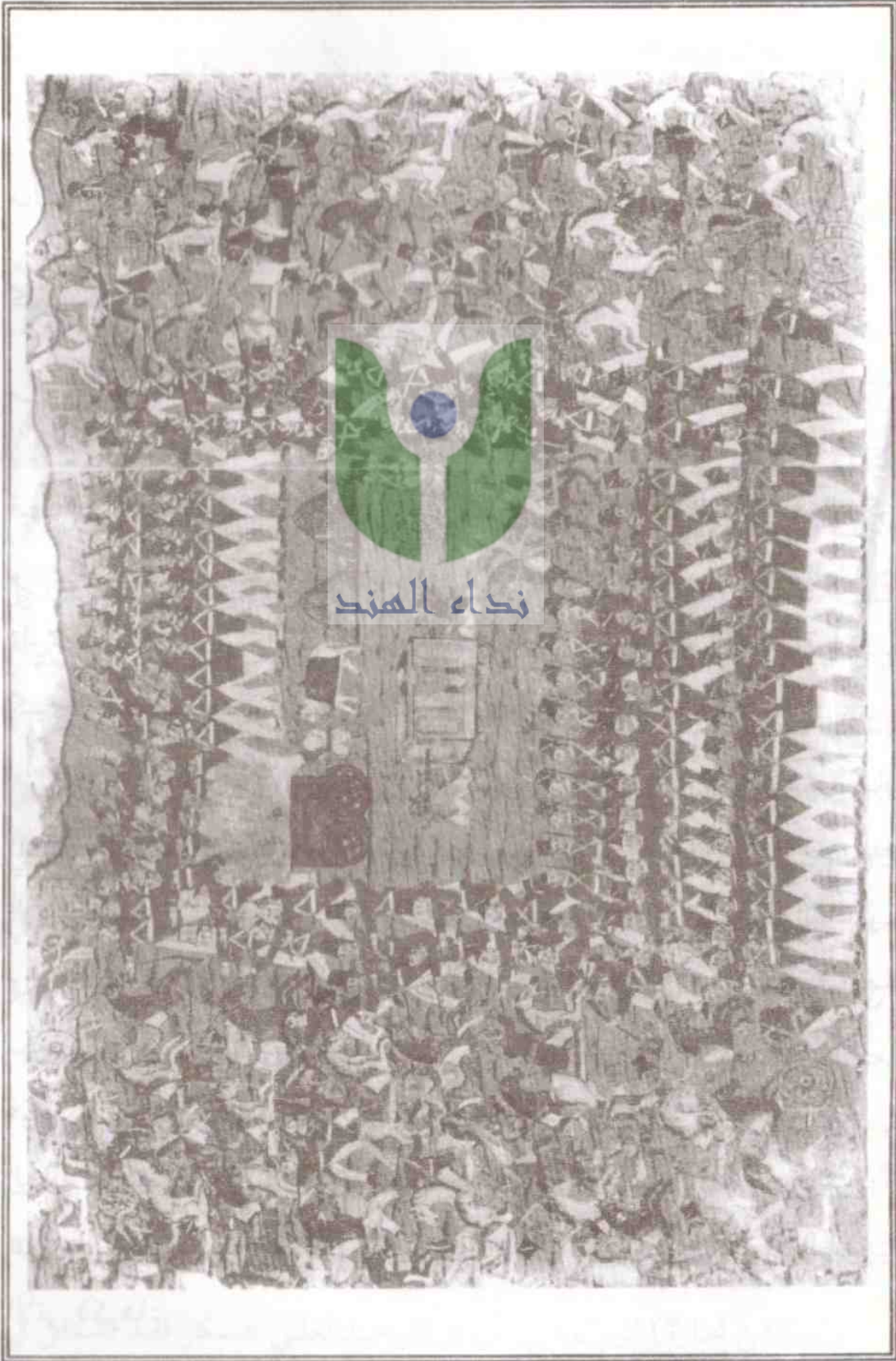
تیبو سلطان فی إحدى الصور التذکارية



أحد أنجال تيبو سلطان



الأمراء الصفار من
أبناء تيبو سلطان
ممن اعتقلهم
الإنكليز بعد
اغتيال والدهم



صورة تذكارية هامة تخلد إحدى أهم معارك تيبو سلطان تزين قصر ميسور

انطباعاتي عن مدن وضواحي مملكة ميسور القديمة

(سنة ١٩٨١)

كارناتكة KARNATAKA:

كارناتكة واحده من أكبر الولايات الهندية في الجنوب، وتبلغ مساحتها ١.١٩.٧٩١ متر مربع. وعاصمتها بنغلور Bangalore ويعود تاريخ التشيع فيها إلى حدود أربعة قرون وقد بدأ مع وجود الممالك الشيعية في الدكن والشيعية فيها أقلية منذ ذلك الوقت وقد برز منهم أحد أكبر رجالات الهند في تاريخها المعاصر وهو تيبو سلطان ووالده الأمير حيدر علي، اللذان لعبا دوراً كبيراً في أحداث جنوب الهند ضد الاحتلال الإنكليزي.

وقد بدأ تدفق أعداد من العوائل الشيعية إلى عموم كارناتكة بعد انهيار الممالك الشيعية في الدكن وبينهم عدد كبير من سُرّاة القوم وتجارهم ومن الأسر المحاربة لسلطنة دهلي المغولية وكلهم انغمروا في الأعمال التجارية والزراعية وكانت Bijapur هي الحاضرة الشيعية الهامة في هذه المنطقة وبعد سقوط المملكة العادل شاهية هاجر أكثر الشيعة إلى قرى متعددة داخل أراضي كارناتكة وخارجها، وهم في بيجابور اليوم أقلية، ويتركز وجودهم الفعلي اليوم في بنغلور Bangalore وميسور Mysore وبيدر Bidar وكلبركه Gulbarga وهاسن Hassan وشيموكة Shimoga وعدد آخر من البلدات الآتي ذكرها:

بنغلور Bangalore:

هي عاصمة الولاية كما تقدم وفيها عدة آلاف من الشيعة، تعود أصولهم إلى المهاجرين من بيجابور والدكن، وعدد من عوائل الخوجة، لكن المكانة الاجتماعية تعود للعوائل الإيرانية التي جاءت إلى بنغلور في القرن التاسع عشر، وهذه العوائل هي: الاصفهانية، والشيرازية، والنمازية، والخليلية. وأول المهاجرين الإيرانيين إلى بنغلور آغا علي عسكر الشيرازي الذي قدم إليها مع شقيقه ووالده عام ١٨٢٤م وكان عمره يومذاك ست عشرة سنة، وجلبا معها مجموعة من الجياد الأصيلة باعها إلى القوات البريطانية التي كانت تتخذ من بنغلور قاعدة لها، وبعد سنين قليلة من إقامتهما في بنغلور توفى والده في حادث مؤسف ولم يفت هذا الحادث في عضد علي عسكر الشاب فصمم على أن يصبح رجل أعمال ناجح وقد كسب صداقة اللورد كابون Cubbon وكرجل كان يتاجر بالجياد صنع علي عسكر لنفسه مكاناً في تاريخ سباقات الخيل المعروفة في جنوب الهند، وكان ابنه أيضاً يشترك في بعض أنواع تلك السباقات، واليوم يستمر هذا التقليد من قبل سليل أسرته في مزرعة الميجر مرزا للجياد، وكنت أتردد على بعض بيوت أحفاده في بنغلور بعضها يقع في شارع يعرف باسم عرب لاين Arab Lain فسألت بعض المعمرين عن سبب هذه التسمية فقال إن عدداً من تجار الخيول العربية كانوا يأتون من البصرة لبيع خيولهم في المنطقة وكانوا يقيمون في هذا الشارع فعرف بهذا الاسم نسبة لهم.

ولم تكن تجارة الخيول هي العمل الوحيد لعلي عسكر فقد اشتغل في مقاولات البناء والتزم ببناء الكثير من العمارات والأبنية، ومن بينها مركز

ومنزل المقيم البريطاني الذي أصبح اليوم مقراً لنادي بنغلور، وينسب إليه أيضاً بناء الراج بهافان Raj Bhavan.

كان آغا علي عسكر رجلاً متديناً ملتزماً بأداء الفرائض الدينية، وكان قد تزوج من كادو بيبي Khadu Bibi وهي ابنة أحد كبار الأثرياء الهنود Indian Quiladar من شاناباتنا Channapatna ولما توفيت زوجته هذه، تزوج من ابنة أحد المجتهدين الإيرانيين المقيمين في لكنو Lucknow وكان اسمها بيبي شهربانو Bibi shahar Banu وهي شاعرة وما تزال أشعارها تردد حتى اليوم في الامباره العسكرية في بنغلور.

وقد حاول المقاول والتاجر الفارسي الذي لم يكن يجيد الإنكليزية أن يأخذ لنفسه مكانة ممتازة في مجتمع بنغلور الذي كان يومذاك محكوماً من قبل البريطانيين، وكان أيضاً صديقاً شخصياً للأمير الآغا خان زعيم الطائفة الإسماعيلية، وقيل أن أفراداً من أسرته تزوجوا من أسرة الآغا خان فيما بعد وقد يكون هذا من أثر تلك العلاقة، لكن المؤكد أن علي عسكر زوج ابنه من أميرة قاجارية كانت منفية مع أسرته في بومباي وكان ذلك بمباركة الآغا خان الذي كان نفسه يرتبط برابطة المصاهرة مع العائلة القاجارية الحاكمة في إيران آنذاك.

وعائلة علي عسكر اليوم من العوائل المعروفة في كارناتكه بل إن عدد من شخصياتها طبقت شهرتهم الهند ولاسيما ابن علي عسكر السير ميرزا إسماعيل sir mirza ismail المولود سنة ١٨٨٣ والذي عمل مبكراً في ديوان ميسور Mysore ثم أصبح رئيس وزراء في جايبور Jaipur سنة (٤٢-١٩٤٣)، وكان إسماعيل ميرزا مهندساً معمارياً مميزاً ومخططاً معروفاً للمدن

والمشاريع العمرانية الكبرى في عصره، وقد قرأت اسمه على حجارة تذكارية على سد ضخمة في حديقة (براندن كاردن) في ميسور، وكان يحتفظ بصداقة الكثير من أمراء وزعماء الهند أمثال مهراجا ميسور ومهراجا جيور sawai man singh، والمهاثما غاندي نفسه، وقد كان الناس ينظرون إليه باحترام وتقدير، وفي رسالة تحتفظ بها أسرته اليوم كتب له مهراجا جيور المذكور طلباً لكي يستمر في رئاسة الوزراء ببلاده قال: «لم يفعل أي رئيس وزراء في جيور كمثلك حيث نجحت تماماً في إدارتك وبعثت الثقة في نفوس الناس وأود أن أسمي شارعاً باسمك إذا وافقت على ذلك، لأنني أشعر بأن جيور تدين لك بالكثير».

وينسب للميرزا إسماعيل إرساء قواعد التصنيع في كارناتكه ولهذا فإن المستر ك.ك. دوراندهار Dhurandhar كممثل لإمارة بارودا Baroda طلب خدمات السير ميرزا قائلاً:

إن بارودا يمكن أن تتقدم صناعياً وتشهد أياماً أكثر ازدهاراً إذا وافقت على أن تكون رئيساً للوزراء، ونظراً لشخصيته المتميزة فقد قرّب الملك مير عثمان نظام شاه آخر ملوك حيدر آباد وقلّده لقب «أمين الملك» وعينه رئيساً لوزراءه من ٣ أغسطس ١٩٤٦ إلى ماي ١٩٤٧ وبرغم هذه المدة القليلة فقد كان أثره كبيراً في حكومة وشعب حيدر آباد.

وليس السير ميرزا هو الوحيد ممن اشتهر من العوائل تلك في الهند، فالرحوم الأكاديمي أ.م.أ. شوشتري A.M.A shushtery كان أحد أعلام الأدباء خلال عهد المهراجا كريشنا راجندرا ووديار Mahoraja Krishnarajendra wodeyar's في جامعة ميسور Mysore University

وله العديد من الكتب باللغتين الفارسية والإنكليزية ، كما نبغ الكثير من النساء في ميادين شتى من المعرفة.

ومن الجدير بالذكر أن الفارسية بقيت متداولة في هذه البيوتات بالإضافة إلى لغة الكنرا Kannada وهي لغة مقاطعة كارناتكه وإلى جانب الإنكليزية وعدد آخر من اللغات ومنها الأوردية وبالرغم من أن الأوردية غير منتشرة في مجتمع بنغلور ولكنهم يتقنونها لأنها لغة المخاطبة بين المسلمين وكذلك لغة التعليم الديني ولغة الخطباء والعلماء الذين يفدون إليهم في المواسم الدينية أما العربية فهي محدودة التداول لعدم وجود مدرسين أكفاء ولكن لا يخلو من يتكلمها كأبناء الضاد أمثال الصديق الحاج محمد جعفر الذي يسكن اليوم في مدراس (١٩٨٢) والواقع أنه تعلم العربية وباللهجة العراقية لكونه قضى فترة صباه بمدينة الكاظمية (كما حدثني بذلك) وأعتقد ان ولادته كانت في العشرينات.

والواقع أن الدين هو باستمرار العامل الأساسي لترايط هذه العوائل هذا بالإضافة إلى عامل الأصل المشترك واللغة الأم ، وللمرأة عندهم احترام كبير وهناك بعض النساء بينهم يعمرن فوق التسعين مما يدل على أنهم يعيشون حياة مستقرة ومطمئنة.

ومن أهم المناسبات الدينية التي تلتقي فيها هذه العوائل وعموم العوائل الشيعية في بنغلور هي مناسبة شهر محرم الحرام ، إذ يتهيئ الأهالي في هذه المدينة تهيؤاً كبيراً جداً لإحياء هذه المناسبة ، كما يحتفلون بعيد النوروز ، وفي مناسبات الزواج لاحظت أن عند بعض العائلات أن ثياب العروس والعريس كانت صفراء اللون وذلك قبل النكاح ولكن في يوم الزواج نفسه فإن العروس

تلبس الساري الهندي المعروف وأما العريس فيلبس الملابس الافرنجية الأنيقة.
شخصيات أخرى من الأسر الفارسية الأصل في بنغلور:

١- المرحوم ميرزا مهدي آغا حفيد علي جان عسكر، وقد ذهب إلى
الباكستان بعد التقسيم ١٩٤٧، وأصبح من رجال الأعمال الناجحين جداً
بمدينة كراتشي، وهو مؤسس (انجمن الامامية) في بنغلور، ومن أعماله نشر
الترجمة الإنكليزية لكتاب نهج البلاغة ولعله أول من نشرها في الهند بتلك
اللغة.

٢- شاه ميرزا عباس خان وأكبر خان، Shah mirza abbas khan,
and Akbar khan وكلاهما ينحدران من آغا علي عسكر، ويعرفان باسم
فيروز وسانجايان خان ولدا في بنغلور، وهما من الأعلام المشهورين في
بنغلور.

٣- السيد كرمانى smh kirmani، وهو لاعب كريكت شهير ورياضي
بارز قدم أجداده من كرمان إلى بنغلور.

٤- أكبر خليلي Akbar khaleeli، وهو شخصية بارزة، كان سفيراً
للهند في طهران.

٥- المرحوم آغا عبد الحسين Aga Abdul Hussain الابن الثاني لآغا
علي عسكر، كان مسؤولاً عن بناء المسجد العسكري (نسبة إلى والده علي
عسكر) الذي أعيد بناؤه فيما بعد من قبل السير ميرزا إسماعيل.

٦- المستر آغا هلالى Mr. Aga Hilaly وهو شقيق آغا شاهي Aga
shahi، وكان عضواً بارزاً في هيئة الخارجية الباكستانية ومثل الهند كسفير في

واشنطن والبلدان الاسكندنافية في موسكو وحتى في الهند، وقد كان صديقاً شخصياً للمستر شوان لاي chouen Lai وكان مسؤولاً عن المحادثات التاريخية بين الرئيس الأمريكي نيكسون Nixon وبين الرئيس الصيني التي كان لها الأثر في تحسن العلاقات الأمريكية - الصينية في وقتها.

وقد نشأ السيد الهلالي في بنغلور وكان قد درس في مدرسة بيشوب كوتون Bishop Cotton's Boy's ثم في كلية القديس يوسف st. joseph's college وبعد تقاعده من عمله الدبلوماسي استمر في عمله التجاري، ويزور أفراد الأسرة الهلالية بنغلور في الأعياد وبعض المناسبات.

٧- السيد هيمايون ميرزا Humayun Mirza وهو الابن الوحيد للسير ميرزا إسماعيل، وقد أصبح رئيس البروتوكول Chiet of protocol في الحكومة الهندية ونال جائزة بادما شري Padma shri كما كان رئيساً للوقف العائد لجدّه آغا علي جان عسكر.

٨- السيد أحمد علي خان Ahmed Ali khan وهو ينحدر من الأمير أصغر جنك Nawab Asgar Jung الذي كان في حيدر آباد.

وكان أحمد علي خان من الأعضاء البارزين في الهيئة الاجتماعية الإيرانية في بنغلور وكان يمثل القضاء الرسمي في كارناتكه Chief Justec of karna taka.

٩- الميجر محمد ميرزا Major mohammed mirza، وقد أصبح أول قائد عسكري مسلم في حرس الرئاسة، وهو لاعب بولو ممتاز وقد ربح الكثير من الميداليات، وكنت ألتقيه مراراً في مناسبات بنغلور وكان قد تقاعد

وانصرف إلى ممارسة هوايته في الجياد، ولديه مزرعة فيها خيل في ضواحي بنغلور ويديرها مع ولديه.

١٠- آغا محمد قاسم الياس آغا جان Aga mohammed khasim alias aga jan، هو ابن علي عسكر ووالد السير إسماعيل ميرزا وكان مستشاراً وسكرتيراً لمهراجا ميسور.

١١- السيد آغا شاهي Aga shahi وهو الوزير الباكستاني السابق والخبير في الأمم المتحدة ولد في بنغلور ونشأ فيها وبعد التقسيم ذهب إلى باكستان، وهو ابن أخ السير ميرزا إسماعيل، درس في مدرسة بالدوين Baldwin's ثم كلية مدراس وكلية الله آباد للقانون وله سجل حافل بالخدمة في الحكومة الهندية قبل انتقاله إلى باكستان وبعد خدمته فيها أيضاً تقاعد وأقام في كراتشي.

١٢- ميرزا حبيب آغا الشيرازي، Mirza Habib Aga shirazi عرفته في بنغلور منذ عام ١٩٨١ ويعمل في البوليتكنولوجي Poly technology وهو من أحفاد علي عسكر، عمل رئيساً لفرع كارناتكه لجمعية مؤتمر الشيعة في عموم الهند، وقد رأيت فيه الحرص على سمعة عائلته والحفاظ على تراثها والاهتمام بتوثيق مهمات الشيعة في كرناتكه.

بالإضافة إلى العوائل الإيرانية المذكورة هناك عدة آلاف من الشيعة يتركزون في وسط المدينة وخاصة بالقرب من Rechmondtuon حيث المسجد الجامع للشيعة الإمامية، ويعتبر شهر محرم الحرام من المناسبات المهمة كما هو الحال لدى أبناء الطائفة في العالم، حيث يُحيون فيه ذكرى استشهاد الإمام السبط الحسين عليه السلام، وقد بدأت الاستعدادات لهذا العام ١٩٨٢ مبكرة بعض

الشيء فهم يقومون بتنظيف وتجديد الأمكنة المخصصة للاحتفال بهذه الذكرى ويسمونها (عاشور خانه)، وفي بنغلور مايزيد على عشرين عاشور خانه معظمها داخل بيوت الوجهاء حيث الدور الفارهة التي تتسع لإقامة مثل هذه الاحتفالات والحقيقة أن في كل دار من تلك الدور الكبيرة غرف كبيرة مخصصة لعاشوراء، ولا يجوز عندهم استخدامها لأغراض أخرى طيلة أيام السنة وهي مكان يحتل قداسة المسجد وإن لم تترتب عليه الأحكام الشرعية الخاصة بالمسجد، وبالتالي يجب المحافظة على طهارته دائماً، أنا زرت عدة أمكنة من هذا النوع ومنها: عاشور خانه ميرزا هاشم، وعاشور خانه عائلة حبيب آغا، عاشور خانه محمد حسين، عاشور خانه محمد إبراهيم.. الخ. وقد تتكون العاشور خانه من غرفتين أو أكثر وفي وسطها يكون المنبر الحسيني منصوباً وتحيط من خلفه وعلى جوانبه العصي الغليظة الطويلة الشبيهة بالرماح وقد وضعت على رؤوسها (البنجه تني) أي الكفوف البرونزية والنحاسية والفضية المزينة والمنقشة بالآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية أو الكلمات المأثورة عن الأئمة عليهم السلام والأصابع الخمسة تشير إلى النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين، والكف على العموم رمز أيضاً لكف العباس بن علي عليه السلام الذي قطعت كفوفه في واقعة كربلاء عام ٦١ هـ وهذا التقليد قديم جداً في الهند ويرجع إلى عهد الملوك القطب شاهية.

وإذا جلت بنظرك إلى سقف العاشور خانه فستجدها مزينة بالزخارف النباتية الجميلة وبالأشكال الهندسية الدقيقة الصنع وتتدلى منه الثريات النفيسة، وعلى الرفوف الخشبية عند الزوايا ثمة بعض الكتب والتحف القديمة العجمي الفاخر والجدران موشحة بالسواد التام غير صور عند بعض الأطراف

تمثل الإمام علي أو أولاده أو مأساة الطف، وبالقرب من المنبر وسادة مغلقة بوشاح أسود وهي مرمية على الأرض ويقربها شمعدان عتيق وعادة ما يجلس خلفها (المنشد الحسيني) فيضع قصائده على تلك الوسادة ويتلو القصيدة بعد الأخرى وسط ضجة الناس ويكاثمهم وعويلهم، وغالباً ما يكون هذا المنشد رخيم الصوت شجي النبرات جداً، وما ان يفتتح قصيدته النوحية من شعر مير أو دبیر أو أنیس أو غيرها من أمراء الشعر الحسيني في الهند إلا وتهيج الجماهير الحاضرة وأكثرهم يرددون معه ما ينشده وينوح به مثلما يردد شيعتنا أشعار حيدر الحلي وغيره حين ينشدها الخطيب الحسيني عندنا.

وخارج العاشور خانه وفي باحة الدار يرتفع عمود خشبي طويل ثبتت في أعلاه الأعلام المختلفة الألوان والأحجام ويعرف عندهم بعلم العباس (عباس علمدار) وكلهم يقدسونه ويتبركون بلمسه، وقيل صعود الخطيب المنبر يتبرك الجميع بقراءة زيارة الحسين عليه السلام المسماة بزيارة (وارث) ثم يأتي دور الخطيب، وأهل بنغلور يستقدمونه من حيدر آباد أو لكهنو أو مدراس، فيخطب في الحضور وعادة ما تتميز الخطبة بالإطالة وقد تستمر إلى ثلاث ساعات، ويتكلم فيها مرتجلاً بكلمات متتابعة سريعة جداً، تكون مليئة بالتكرار والاسجاع والصيغ البلاغية والمبالغات الكلامية التي يرمي الخطيب من ورائها إلفات الناس إلى مقدرته وبراعته، والجميع يُصغي له كما يظهر باهتمام دون أن تتابهم السامة والملل. وتختلف أجرة الخطيب تبعاً لعلمه وشهرته فهناك من يأخذ عشرة آلاف روبية أي لكل يوم من المحرم ألف روبية وهناك من يأخذ أقل من ذلك.

وبعد انتهاء الخطبة تقرأ الأشعار النوحية الأوردوية ثم يُختتم المجلس

بقراءة زيارة الحسين عليه السلام وتقديم الطعام تبركاً لذكراه الطيبة عليه السلام.

وبعض العاشور خانات تستمر المجالس فيها إلى غاية الاربعين يوماً
ولاسيما في أكبر تلك الأمكنة أعني:

١- حسينية آغا علي عسكر.

٢- البندال أو حسين جوك وكلا هذين الموضعين في محلة الشيعة عند
عرب لاين قرب جونسون ماركت، ففي هذه المنطقة يكثر أبناء الشيعة خاصة
على شارع Hosur Road حيث يقع المسجد العسكري والقبرستان (المقبرة
الرئيسية) وهي المقابر البديعة العمارة والتنظيم التي تكتنفها الورود والأشجار
وفي وسطها (حوض ماء) وجميع شواهدا بالمرمر الأبيض الصقيل.

ويوم تاسوعاء وعاشوراء أهم أيام المحرم بينغلور، ويقوم الخطيب ليلة
عاشوراء بقراءة المقتل الحسيني وينقل صوته بواسطة مكبرات الصوت إلى
كافة نواحي الحي حيث يجلس الناس في الشوارع والطرق يستمعون إليه
وسط منظر حزين مؤثر والجميع ينوحون ويبكون ولا أثر للتصنع في ذلك،
وقد رفعت الشعارات الحسينية في كل مكان من الدروب والأزقة وكتبت
بالإنكليزية والأوردية والفارسية كلمات التمجيد وإحياء ذكرى عاشوراء.

ويسهر أكثر الناس ويقضون ليلتهم بالعبادة والدعاء والزيارات وقراءة
القرآن والمستحبات الشرعية مع بذل الطعام والشراب وإكرام الفقراء والأيتام
وحين يصبح عاشوراء وهو عطلة رسمية في الهند تهب جموع الناس زاحفة
إلى حسينية آغا علي عسكر فتضيق بهم فتتمدد صفوفهم إلى الخارج وما يحل
الضحى حتى يتجمع الآلاف وقد يكون نصفهم من أهل السنة فهم في هذا
البلد يحيون عاشوراء مثلما يحييه الشيعة وربما أشد من غير أن تكون لهم

أمكنة حسينية خاصة بهم، ثم يواصل الخطيب قراءة مقتل الحسين وما أن ينتهي حتى تخرج المواكب من كل حدب وصوب لها ضجيج ودوي عظيم، ولا يكاد المتفرج أن يخفي أو يجبس دموعه لما يستشعره من هذا المنظر الحزين.

وتسير المواكب الكربلائية مائة رحب الفضاء ويبطء شديد مارة بالشارع الرئيسي ثم شارع ليونارد Leonard Road الذي زين بالأضواء الكهربائية على طوله ثم تصل إلى البندال حيث نصبت عنده سرادقات سوداء عظيمة فتستظل الجموع الغفيرة من الناس ويستروح عنده قليلاً خاصة أولئك المتطربون والدماء تنزف من صدورهم وأجسادهم ولقد رأيت البعض منهم قد استحالت ملابسهم إلى اللون الأحمر القاني لكثرة ما أريق من دمائهم في تلك المسيرة الصاخبة. ثم تتدافع مجاميع أخرى من الشباب فيخلعون قمصانهم ويبرزون زناجيلهم الحديدية وقد ركبت في نهاياتها سكاكين حادة فيضربون ظهورهم بحالة من اللاشعور فتنبعث دمائهم وتتطاير في كل ناحية وما ان يبدأ المنشد بنوحياته حتى يتوقفوا عن الضرب فيستروحون ساعة وحين يصل المنشد إلى ذروة إنشاده تتعالى أصوات الجميع وترتفع أياديهم في الفضاء وما تنزل إلا على صدورهم العارية المدماة بكل قوة وعنف وهنا تبدأ ملحمة أخرى فيحمى وطيس الزناجيل وتلمع بارقات السكاكين وتجري الدماء بغزارة حتى إذا أثنوا بالجراح تداعى الأعيان وكبار السن وهم يهتفون يا حسين.. يا حسين بنعمة مشجية تنبئ بنهاية المآثم ثم تُقام الصلاة جماعة، ويطلب من أعيان المدينة وقفت على صخرة كبيرة وقرأت زيارة عاشوراء وثنيها بزيارة الإمام الرضا عليه السلام ثم الحجة المهدي (عجل الله فرجه) كما هي العادة عندهم. وما انجلت تلك المشاهد المتتابعة إلا والجماهير المحتشدة قد تفرقت على صوبين

وعلى وجهتين متقابلتين فمدت اسمطة الطعام في الوسط واحتشدت بلذيد الطعام من المآكل الهندية المنوعة، وما أن أخذ الناس قسطاً من الراحة حتى استعدوا للدخول في حفرة النار قبيل العصر، وهي طقس رهيب تتميز به أيام عاشوراء الهندية وعلى من يجب الحسين حقيقة أن يدخل فيها مهرولاً واضعاً رجليه في الجمر الملتهب ويتجاوزها إلى الجانب الآخر وكان الكثير من الداخلين يحملون راية صغيرة هاتفين بأبي الفضل العباس، وعلى طرف آخر من محلة الشيعة كانت الاستعدادات جارية للتحضير إلى موكب جنازتي ختامي ومع الغروب دقت الطبول والأبواق بموسيقى جنازية معبرة وشق الموكب طريقه بصعوبة من شارع Hosur road بينما اصطف الآلاف على جانبي الطريق وامتلات سطوح البيوت والمحال التجارية والأسواق بالمتفرجين من كل مذهب ودين، وأخذ الموكب الحزين طريقه وسط هذه الحشود تتقدمه خيول عمرية أصيلة موشحة بالسواد وبعضها مشخنة بجراح مصطنعة تمثل ما جرى للحسين والهاشميين في كربلاء، وكانت تلك الخيول تجري وسط غابة من الأعلام البيضاء والخضراء والرماح والسيوف المرفوعة، والجميع يمشي وفق نوتات موسيقية محدودة وينشدون معاً أناشيد حزينة شجية وعلى خطى وئيدة مرتبة تمضي تلك المواكب حتى تصل (القبرستان - المقبرة الشيعية) على نية أنهم يودعون الإمام الشهيد وأهله وأصحابه إلى قبره.

وهناك الخطيب شطراً من الأشعار النوحية المتعلقة بمصارع آل البيت وتتجدد مواكب اللطم والتطبير والعزاء لتوديع هذا اليوم العظيم حتى يجن الليل فتقام الصلاة ثم يتجدد النشاط من جديد وترفع الشمعدانات وهي تقابل «المشاعل» عندنا وتنطلق المسيرة الأخيرة وبألحان شجية أخرى، ثم

يتفرق الجميع إلى بيوتهم ودموع الحزن لا تكاد تفارقهم من شدة الحزن وبالغ التأثر.

والعادة أن تقام مثل هذه الطقوس في مدراس في يوم السابع من محرم، ويقصدهم فيه أهل بنغلور ليشاركونهم فيها ثم ينطلق أهل مدراس مع ضيوفهم إلى بنغلور وتقام نفس الطقوس في يومي التاسع والعاشر من محرم.

وفي اليوم السابع من العشرة الثانية محرم الحرام تعاد هذه المشاهد في قرية دود بالايور (وسياتي ذكر هذه القرية)، وقد تعاد أيضاً في أمكنة أخرى من الولاية، وذلك لعميق تعلقهم بهذه الفاجعة، وأعتقد أن العلماء المؤسسين لهذه الاحتفالات كانوا يهدفون أيضاً إلى كسب أكبر عدد من أهل الديانات الأخرى إلى الإسلام وقد نجحوا جداً في هذا المنحى وأكثر المتشيعين اليوم دخلوه من خلال هذه المواسم الكبرى، ولا بد أن يكون هناك مفكر ذكي وراء هذه الالتفاتة بحيث يجري استيعاب المتشيعين للعمل في مزارع الأغنياء من أبناء الطائفة ويشعرونهم بالتكافل الاجتماعي والإنساني. ولعل أهم المواسم الدينية التي تجري على هذه الشاكلة ويهدف منها إلى المعنى الذي قصدناه موسم أربعين الحسين عليه السلام، فالمخطط له من حدود قرنين من الزمن أن تكون هنالك ثلاث أربعينيات للحسين عليه السلام يقام أولها (الأربعين الأول) في لكهنو حيث العاصمة الروحية لشيعة الهند في الشمال، ويقام الأربعين الثاني في مقاطعة كجرات في الغرب، ويتفق على إقامة الأربعين الثالث في مكان آخر من غير الموضوعين المذكورين، حتى لا يفوت على أحدهم المشاركة في تلك المواسم وتكون المشاركة في مثل هذه الأربعينات بأعداد ضخمة من الناس يتراوح بين مائة ألف إلى مائتي ألف نسمة.

وقد شهدت الأربعين الثانية بمنطقة كانودر في كجرات وقدرت المشاركين بمائة ألف وفي هذا الموسم تقام طقوس المشي على النار بأوسع طريقة تجري عليها في الهند وأحصي الناس الذين سلکوها وسط الجمر بأكثر من ألف شخص من مختلف المذاهب الإسلامية ومن الهندوس كذلك.

ولا يفوتنا الإشارة هنا إلى أن هنالك مجالس خاصة بالنساء تستمر إلى غاية الأربعين وتقوم بالقراءة فيه نسوة متدربات على الإنشاد الديني وبينهن شاعرات ونائحات كما تجري عليه العادة في العراق.

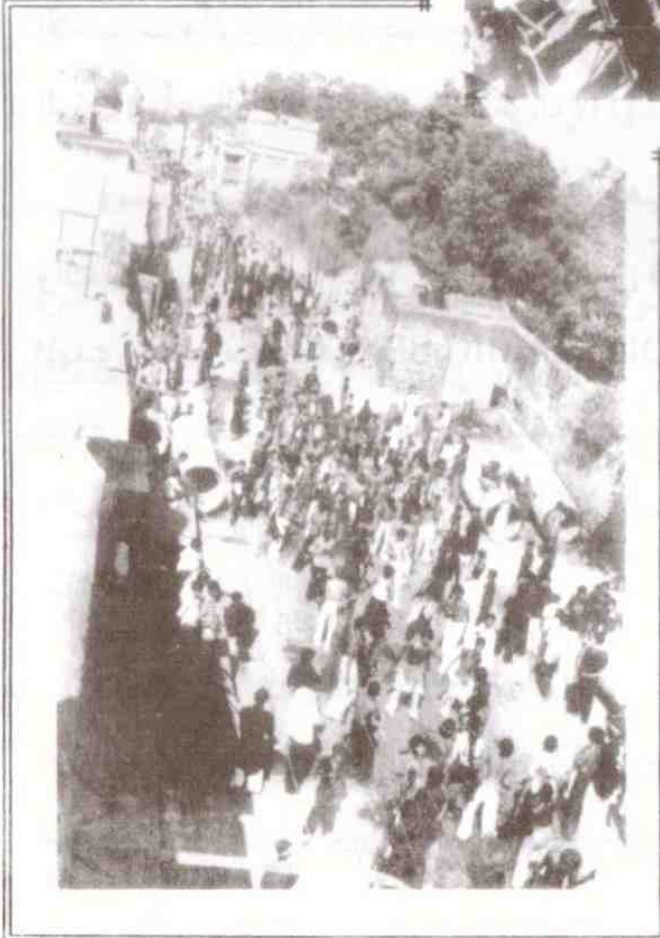
نداء الهند



المؤلف على سطح أحد القصور ويبدو من خلفه قصور تيبو سلطان



نداء الهند



مواكب التطبير في مدينة
بنغلور سنة ١٩٨٢م

علي بور Ali Pur:

قرية من توابع بنغلور تبعد عنها حوالي ٥٠ كم يزيد عدد نفوسها على خمسة آلاف كلهم من العلويين على مذهب الإمامية باستثناء عدد من العمال والمزارعين الهندوس ، وترجع أنساب أهل القرية إلى جد واحد من نسل الإمام زين العابدين عليه السلام وكل من رأته يسبق اسمه بمير أو سيد. هاجر أجدادهم من مدينة بيجابور بعد سقوط المملكة العادل شاهية الشيعية ، وقيل لي أن من أسماء أولئك الأجداد السيد مصطفى ، والسيد صفدر وكان عملهم الزراعة إلى عهد قريب ومنذ ثلاثين سنة اكتشفوا بأن أرض القرية تحتوي على الياقوت الأحمر والأحجار الكريمة من أنواع أخرى فاشتغل أهلها بهذا الاكتشاف وأثروا ثراءً فاحشاً حتى انتقل بعضهم إلى بنغلور وفتح عليهم باب الرزق في أعمال تجارية أخرى.

وبسعي من (إدارة آفتاب إسلام) - وهي المؤسسة التي كنت أمثلها - والتعاون مع عدد من أهل القرية أسس في ذي القعدة عام ١٤٠٢ هـ مركز المهدي الإسلامي AL MAHDI ISLAMIC SENTER ومن المفروض أن يحتوي على مدرسة دينية ومكتبة عامة ومستوصف ، وقد حضرنا وضع حجر الأساس لهذا المشروع في التاريخ المذكور على مساحة سعتها خمسة آلاف هكتار.

وفي القرية مسجد قديم متداعي الأركان وقد شيد بجانبه مسجد آخر على طراز إسلامي جميل ، ويؤدي صلاة الجماعة فيه السيد عباس حسين الباقري ، وهو رجل كبير السن ورع وناسك وقد التقيت في بعض أسفاري

بأفراد من القرية قالوا لي أنهم يدرسون العلوم الدينية في حوزة قم وأن بعضهم في حوزة السيدة زينب ، وأظن أن بعض هؤلاء الطلبة قد تخرج اليوم وأخذوا مكانهم في التوجيه والتوعية الدينية لأبناء قريتهم أو القرى المجاورة.

في القرية أيضاً مشهد يُعرف بمشهد الزينية وهو على طراز العمارة القديمة لمشهد السيدة زينب بالشام ويضم قبة ومنارة على أسلوب المبنى المذكور.

وهناك أمكنة لإقامة المآتم الحسينية تعرف باسم عزا خانة وأشهرها:

١- عزا خانة بيبي سكينه (منسوب إلى السيدة سكينه بنت الحسين

السبط عليه السلام).

٢- عزا خانة الزهراء ، وهي في الطريق إلى مسجد القرية ، ونظراً لثراء

أهلها فإن الدور الحديثة بدأت تنتشر بكثرة وبالطراز المتعارف عليه في المدن وكذلك تطورت بلديتها وخدماتها الإدارية والاجتماعية.

كريم بور KARIM PUR:

وعلى بعد ثمانية عشر كيلومتراً من علي بور تقع قرية إسلامية أخرى واسمها الأصلي هولبي فناهल्ली Holavanahalli ولا أعرف سبب تسميتها الحالية والغالب أنها منسوبة إلى من اسمه كريم من ملاكيها أو أعيانها ، وفي القرية ١٣٠٠ نسمة نصفهم من الشيعة والنصف الآخر من السنة ، وللشيعة فيها ١٦٠ داراً وهناك عدد من الهندوس أيضاً ، وفي أول زيارتنا لهذه القرية توجهنا إلى شعبة مسجد رود shia masjid road وهو المسجد الوحيد وعمارته قديمة وفي أوله صخرة مكتوب عليها ما يلي : «باني اين مسجد شيعه مير زوار مهدي حسين بن مير نذر حسين عفي عنه ٢٥ - ٧ - ١٩٢٥» .

وفي القرية جمعية صغيرة للشيعة اسمها «انجمن عسكرية»، وهناك مركزان للعاشور خانة تقام فيها مجالس الحسين عليه السلام والتدريس الديني.

وأصل الشيعة من مدينة بيجابور، ويشغل غالبيتهم في الزراعة والبعض في ممارسة الأعمال التجارية البسيطة مثل صناعة الدخان الهندي المعروف باسم بيرى (Pari)، ويدرس حدود ١٧٠ طالباً وطالبة في العاشور خانة وهناك ست مدرسات واثنين من المدرسين يبذلون جهوداً كبيرة في تدريس القرآن الكريم والحديث وحياة الأئمة عليهم السلام بالإضافة إلى اللغة العربية وقد زرناهم في العاشور خانة بصحبة عالم القرية السيد امتياز حسين الزيدي الجونبوري الذي خلف العالم السابق جعفر حسين، وصحبنا أيضاً صديقنا السيد علي رضا أحد وجوه قرية علي بور ومن نشطاء جمعيتنا (آفتاب إسلام) في المنطقة، وأقيم حفل استقبال ألقى فيه عدد من الطلاب الأناشيد الدينية ثم تلا بعض أذكىاء الطلبة السور الطويلة من القرآن الكريم وهم يحفظونها وينطقونها نطقاً صحيحاً وهذا يدل على أن جهود أولئك الأساتذة لم تذهب هباءً.

دودبالابور DOODBALL PUR:

قرية تقع على مسافة ٣٦ كيلومتراً من بنغلور، وسبق أن أشرنا إليها في كلامنا عن مظاهر عاشوراء في بنغلور، وعدد نفوسها في حدود أحد عشر ألف نسمة فيهم حدود ٢٥٠ من الشيعة، تتوزع مؤسساتهم على ما يلي:

١- انجمن حيدرية، ويعني بشؤون الطائفة ورئيسه: موسى الرضا.

٢- حسينية كبيرة (امامباره) مساحتها حدود خمسة آلاف متر.

٣- المسجد ، ويقع على يمين الداخل إلى القرية وهو اليوم بيد السنة.

٤- المدرسة الدينية: تدرس فيها اللغة العربية ومبادئ العلوم الدينية للناشئة وموقعها داخل الامامبارة وفيها مدرس واحد من أهل السنة والطلبة من المذهبين معاً وعددهم في حدود الأربعين.

٥- موقوفات صغيرة ومنها آبار قديمة أو أشجار بيد المتولي يوسف علي بيك ، وواحد من هذه الآبار يقده الأهالي زعماء منهم بأن فيه علم العباس ابن علي عليه السلام.

٦- قبرستان (المقبرة).

وبعد اجتماعنا في الامامبارة شكى لي أهل القرية بعدم وجود عالم يخدمهم منذ سنتين والواقع ان مشكلة النقص في العلماء والمبلغين هي مشكلة الهند عامة.

وقد زرنا القرية مرة أخرى في موسم عاشوراء سنة ١٤٠٣ هـ فعجبنا من كثرة الناس الذين قدموا إليها من أنحاء شتى في الولاية ويقدر عددهم بالآلاف فأحيو ذكرى أبي عبد الله عليه السلام إحياءاً مناسباً وبرغم الأمطار الغزيرة هذا العام فقد خرجت المواكب وهي تضم الآلاف من المؤمنين ، وما أن حلّ المساء حتى أشعلت الآلاف من الشموع الصغيرة التي أضيئت لذكرى شهداء كربلاء وكان مشهداً رائعاً يستلفت الأنظار وكان الخطيب لهذا الموسم صديقنا السيد نبي الحسن القادم من حيدرآباد.

هولي نرسي بور HOLI NARSI PUR:

وفي مناسبة أخرى زرنا هذه القرية وهي تبعد حوالي أربع ساعات

بالسيارة عن بنغلور، وفيها عدد كبير من الشيعة ولهم مسجد وامامباره وعاشورخانه ومشهد صغير لعلم العباس، يقولون أن أحد الهندوس رأى في منامه سيداً مهيباً أمره أن يحفر في هذا الموضع، وحين استتبط حفر الموضع المعلوم فوجد فيه راية صغيرة! ومن هنا فسّر ذلك بعض السُدج والبسطاء بأن تلك الراية للعباس فنوا عليها مشهداً! ومثل هذه الأقاويص تعجّ بها الهند وشائعة لدى كافة طوائفها.

ووجهاء القرية غالبيتهم من الأصول الفارسية ولهم اتصال وثيق بالعوائل المقيمة في بنغلور.

كُلُّ بَرَكَا GULBARGA: نداء الهند

مدينة قديمة كانت من الحواضر الإسلامية الهامة أيام ممالك الدكن الشيعية، تقع على بُعد حدود ٣٠٠ كم عن بنغلور، وكانت شيعية في غالبيتها وبعد انهيار المملكة الشيعية هاجر معظم أهلها ومن بقي فيها تسنن والشيعية فيها اليوم قليلون ولديهم مدرسة كبيرة قديمة البناء يتولاها السنة أيضاً وفيها مزار للعالم الشيعي الشيخ بنده نواز، وهو معدود اليوم ضمن المزارات الخاصة بالسنة، والناظر إلى داخل ضريحه يجد مكتوباً على جدرانه ما يلي (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله).

بِدَرُ Bidar:

وحالها كحال كُلِّ بَرَكَا كانت من حواضر الشيعة ثم تحولت سنية بغالبيتها بسبب تلك الظروف.

سيرا Sira:

وتبعد ١٦٠ كيلومتراً عن بنغلور، وكانت شيعية خالصة، وغالبيتها اليوم من السنة وهناك حوالي ٦٠ منزلاً للشيعية ولديهم مسجد خاص بهم ولا يوجد لديهم مرشد ديني.

بيجابور Bijapur:

هي أهم حواضر الدكن بعد حيدر آباد، وفيها آثار شيعية كثيرة هجرها الشيعة بعد استيلاء اورنك زيب عليها وفصلنا أحوالها في حديثنا عن ممالك الدكن، وذكرنا هاهنا لقربها من هذه الأمكنة، وقد كتبنا عنها بشيء من التفصيل في كتابنا (ملوك حيدر آباد).

نداء الهند**تام كندي Tyam jundul:**

تبعد ٢٦ كيلومتراً عن بنغلور، هاجر أكثر شيعتها منها ولم يبق فيها إلا بيوت قليلة منها بيت الميرزا عابد حسين الذي التقيناه في كريم بور، وفيها الآن عاشور خانه واحدة، يأتي إليها أهل بيركانا هلي لإقامة العزاء في المواسم المعتادة.

بيركانا هلي Birgana Halli:

تبعد ٣٥ كيلومتراً عن بنغلور، على طريق تام كندي هاجر شيعتها أيضاً وفيها اليوم خمس بيوت فقط ونشاطهم الديني في عاشور خانه تام كندي.

دابس بيت Dabes pet:

تبعد ٤٠ كيلومتراً عن بنغلور ولم يبق فيها اليوم من الشيعة أحد.

نيجكل Nijgal:

قرية شيعية قريبة للقريتين السابقتين وقد هجرها أهلها أيضاً.

نيل ساندرنا Neel Sandra:

قرية متاخمة لبنغلور، تبعد بضعة كيلومترات عن مسجد العسكري في بنغلور، تضم ٩٨ بيتاً للشيعية، وأكثر أهلها يعمل في بنغلور، ولديهم أرض صغيرة موقوفة لإنشاء امامباره، وقد سعت جمعيتنا: إدارة أفتاب إسلام لشراء أرض أكبر لبنائها كمسجد وامامباره ومدرسة دينية بسعي الحاج الدكتور باقر الفالح.

وفي القرية الآن انجمن يحمل اسم آستان حسيني، ورئيسه: مير إقبال حسين والسكرتير: ظهير علي، وهناك مدرسة صغيرة لتعليم الأطفال وتحمل اسم مدرسة دينيات آستان حسيني كميتي.

MADRASA – E – DEENYATH ASTHANA – E – HUSSINY
COMMITTEE

وفي المدرسة حوالي ٨٠ طالباً وثلاث مدرسين هم: مرزا سردار، ورقية بيكم، وشاه زنان، وتقع المدرسة في المنطقة ٤٧ حسب التقسيم المحلي لبنغلور.

أوتي Ooty:

تعتبر أوتي من أجمل المناطق السياحية في جنوب الهند وتقع على منطقة مرتفعة من الأرض وفيها من الأشجار النادرة والوحوش الكاسرة ما يذكرنا بغابات الأمازون وغدرانها وجمالها، وقد زرناها عدة مرات وسلكنا الطريق إليها من بنغلور إلى ميسور وبلغ ١٣٠ كم، ثم من ميسور إلى أوتي ١٦٠ كم،

وفي الطريق من ميسور إليها توقفنا عدة مرّات كان أولها في قرية تدعى (جن بتنا chan patna) والمشهورة بمناجم الياقوت كسهرتها بالمخثين الهنود الذين يسكنون جانباً منها وهم على حالٍ لا يسرُّ الناظر، وقيل لنا أيضاً أن في هذه القرية ظهر من ادعى المهديّة قبل نحو ٣٠٠ سنة وله أتباع فيها إلى يومنا هذا، لكننا لم نرهم. وتوقفنا ثانيةً في الطريق فزرنا القصر الشتوي والقصر الصيفي للشهيد الكبير (تیبو سلطان) كما زرنا المقبرة الضخمة التي يرقد فيها هذا البطل العظيم ويقربه قبر والده حيدر علي رحمهما الله.

ومن أهم معالم أوتي حديقته الرائعة (بنا تكل كاردن) وهي متدرجة على سفوح الجبال وتزينها الأشجار الجميلة، ومن غرائب ما رأيناه بعد صعودنا إلى قمة أحد التلال العالية أحد المعابد الهندوسية وقد جلس عند بوابته الكبيرة كاهن كبير السن، وهو أحد المرشدين الدينيين في قبيلة دوداس Duaodaus التي تقطن تلك الأنحاء ورأينا بعض أفرادها ويعيشون حياة بدائية، ومن أشهر ما تميزت بهذه هذه القبيلة أن (المرأة الدوداسية) منهم تتزوج خمسة أزواج أي لديهم عادة تعدد الأزواج وقد سألت أحد الأشخاص المتعلمين منهم داخل المعبد عن السبب الداعي لهذه العادة فأفاد بأن أحد أجدادهم قدم على أسرته من سفر طويل وأخبر امرأته بأن عنده هدية لها لكنه لم يبين ما هي الهدية، وعند ذلك أقسمت المرأة بأن الهدية ستقسّمها على أولادها الخمسة لكنها تفاجأت بعد أن رأت أن الهدية عبارة عن امرأة جميلة جلبها والدهم لامرأته، لكن امرأته أبرّت بوعدها وقسمتها وزوجتها لأولادها الخمسة فكانت تلك المرأة تنام كل ليلة مع واحد منهم، وإذا كانت تحبل وتنجب فينتظرون حتى إذا يكبر الوليد فينسبون له لمن يشبهه من

الأخوة، وبعد ذلك استمرت هذه العادة في أحفادهم حتى اليوم.

ميسور:

ميسور من أجمل المدن التي رأيناها ومن الأمكنة السياحية التي قصدناها فيها بحيرة ضخمة قيل أن عمقها يصل ٥٠ قدماً وتعيش فيها مجموعة كبيرة من التماسيح ومئات الآلاف من الطيور المهاجرة من أستراليا وأمريكا وروسيا وأوروبا.

ومما زرناه قصر الأميرة ليليتا Lalitha Mahl Palace وقصر مهراجا ميسور ويقع على سفح جبل هناك.

وعلى مسافة من هذا القصر تمثال بقرة سوداء ضخمة جداً، وعندها غرفة صغيرة يقطنها كاهن هندوسي سألناه عن سبب ضخامة تلك البقرة فقال إنها تتضخم لوحدها كل عام ويزداد وزنها بازدياد بركاتها، وعلى مسافة أخرى قصيرة من هذه البقرة هيكل هندوسي شبيه بالزنزانة وبوسطه تمثال لأحد الأرباب قيل لنا أن مهراجا ميسور أمر ببنائه لرؤيا رآها، واسم هذا الهيكل (Sri Ranganathaswam Temple) وزرنا حديقة الحيوانات المسماة بـ (Sri chamarajendra Zoological cardens) وهي حديقة كبيرة فيها عدد هائل من الوحوش ويبدو على أكثرها الجوع ربما لقلة ما يقدم لها من الطعام وداخل الحديقة متحف صغير للمحنطات من الحيوانات والطيور البرية.

ولابد لمن يقصد ميسور من زيارة حديقة رائعة الجمال المعروفة باسم (Brindavan Gradens) وعندها سد كبير.

وقصر أمير ميسور السابق (Maharaja's Palace) فيه من عجائب العمارة ونفائس الفنون ما لا يحيط الفكر بوصفه.

وتابعنا حركة الاقتصاد المتنامي هناك كما زرنا عدة معامل للحريز والأقمشة والصندل، وصناعة الصندل مما اشتهرت به ميسور والمرحوم (شوكت علي) أحد أمهر الفنانين الميسوريين في النقش على الصندل بالعاج والأحجار الكريمة والزخارف والألوان الجميلة، وأصدقائنا الشيعة من أفضل الصناع في هذا الفن لكنهم يخضعون لهيمنة التجار الكبار الذين يستغلونهم ويشترون صناعاتهم النفسية بأبخس الأثمان، وعمن التقيناهم من الفنانين في محلاتهم الضيقة بشارع سجاد علي في محلة (Manda Mohalla) الفنان السيد علي أمين، وهو شيخ معمر، وكذلك الفنان أكبر علي الشيرازي.

وفي ميسور هناك نحو ثلاثة آلاف من الشيعة، ولهم مسجد وسط البلدة كبير الحجم تتوسطه حديقة وبطرفه منزل الإمام، والإمام الحالي السيد محمد عباس النقوي نجل صديقنا السيد علي الكشميري مدير الجامعة السلطانية بلكنو، وهو يتكلم اللهجة النجفية كأبيه وبعض أفراد أسرته، في الجامع مدرسة لناشئة الشيعة فيها نحو ٥٠ من الطلاب واسمها المدرسة الصادقية، وهناك مكتبة صغيرة تكمن أهميتها بما تحويه من مخطوطات البعض منها باللغة العربية وعدد يزيد على الخمسين.

تامل نادو:

قصدنا ولاية تامل نادو، وبعد ٨٠ كم قصدنا غابة تعرف باسم (Bandipur) ونما هناك في بيت يستأجره السياح وفي الصباح تحركنا إلى غابة أخرى ضمن حدود ولاية تامل نادو، واسمها (Mudumalai) وفي صباح

اليوم التالي ، وعند الفجر اصطحبنا الدليل وكان معنا أحد السياح من الشيعة الخوجة من أهل كينيا وركبنا السيارة التي تفتقد إلى الحماية اللازمة وقد جلسنا في الخلف بينما جلس دليلنا في صدر السيارة ، فصادفنا نمر يعدو على غير هدى واقرب منا فأيقنا بالموت لولا عناية الله الذي صرفه عنا وابتليت بالزائر الكيني الذي أغمي عليه وكاد يموت من الهلع والخوف ، وهذه الغابة تبعد نحو ٩١ كم عن ميسور .

مدراس Madras:

ووصلنا مدراس Madras بعد جهدٍ وعناء وهي عاصمة ولاية تامل نادو Tamil Nado واللغة الشائعة فيها هي التاملية والشيعة فيها نحو عشرة آلاف ويتوزعون جغرافياً على هذه الأمكنة والكثيرون خاصة في المناطق التالية :

١- ثاوزندلايت Thaousand Liyhts ، وفي هذه المحلة مسجد نمنا فيه ليلة واحدة ، وهو مسجد كبير حديث البناء ، والإمام فيه صديقنا الشيخ غلام محمد تقى خان عسكري وهو رجل فاضل يجيد الإنكليزية والفارسية والأوردية ويلمّ بالعربية .

٢- بودويت Pudupet .

٣- تربيلكن Triplicane .

٤- برام بور Perambore .

ويكثر الشيعة كذلك في منطقة فلور Vellor وفق الترتيب التالي :

١- ثور بادي Thorpadi حوالي ٢٠٠٠ نسمة .

٢- باقر آباد Baqerabad حوالي ١٥٠٠ نسمة .

٣- اقل كندا Awalkunda حوالي ١٠٠٠ نسمة.

٤- اركوت Arcot حوالي ٥٠٠ نسمة.

وفي طريقنا إلى ميسور بتنا ليلة واحدة في قرية Nilgiris وقيل الليل
قصدا مسجدها وتعرفنا على إمام الجامع الذي أخبرنا بأن في القرية نحو
خمسة آلاف من المسلمين الشافعية، وحذرنا من الكثير من اللصوص
يسكنون القرية، وكان مبيتنا في فندق صغير بشارع يطلق عليه اسم
(Gudalur Bazaar) وصاحب الفندق نفسه جدد تحذيره من أننا عرضة
لنهب اللصوص وإن علينا الاحتراس لذلك الأمر، ومرّ الليل علينا بسلام
فأصبحنا وعاودنا السفر من جديد.

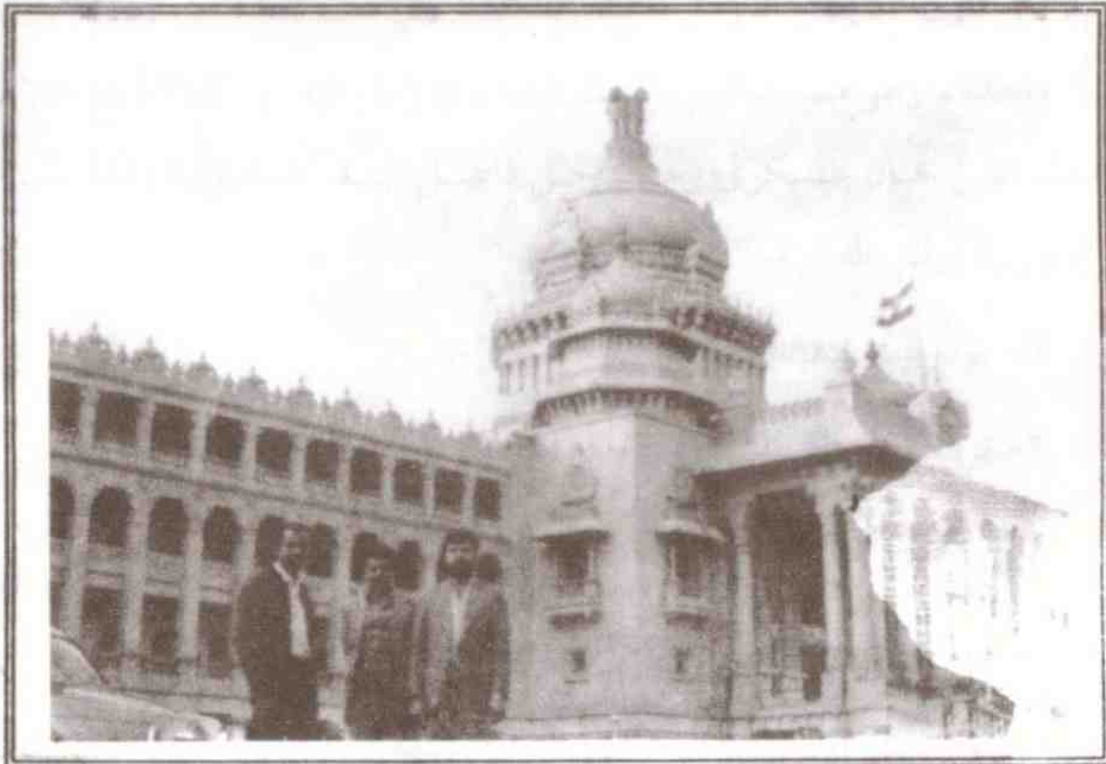




مسجد الشيعة الكبير في بنغلور (عرب لاين)



المؤلف في حديقة (براننغن كاردن) المشهورة في ميسور



المؤلف مع زميليه هاشم شبر وميرزا علي رضا أمام مبنى المحكمة الكبرى في بنغلور